

كتاب : وصايا الملوك

المؤلف : دعبل الخزاعي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده. وصلواته على محمد النبي وآله وسلم.

حدثنا علي بن محمد بن الدعبل بن علي بجميع هذا الحديث المذكور في هذا الكتاب، عن جده الدعبل بن علي الخزاعي، أنه قال: رويت علم الأوائل وأنساب العرب عن جماعة ممن أدركت من أهل العلم والمعرفة بذلك، وحفظت عنهم وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان بن هود النبي صلى الله عليه وسلم بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح النبي صلى الله عليه وسلم ابن ملك بن المتوشلح بن أختوخ، وهو إدريس النبي صلى الله عليه وسلم بن يرد بن مملايل بن قينان بن أنوش بن شيث النبي صلى الله عليه وسلم ابن آدم الماء والطين صلى الله عليه وسلم.

قال علي بن محمد، قال الدعبل بن علي: فتوافق جميع من أدركت من أهل العلم والمعرفة على أن أول من بعثه الله تعالى من بعد نوح صلى الله عليه وسلم واصطفاه وانتخبه وأمنه على وحيه ورسالته هود النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أب العرب العاربة، وهو الذي يقول فيه علقمة ذو جدن:

أبو نأبي الله هودُ بن شالخٍ ... فنحنُ بنو هودِ النبي المطهرِ
لنا المُلْكُ في شرقِ البلادِ وغربِها ... ومفخرُنا يسمو على كلِّ مفخرٍ
فمنْ مثلُ كهلانِ القواضبِ والقنا ... ومن مثلُ أملاكِ البريةِ حميرِ

وصية هود النبي

عليه السلام

وحدثنا علي بن محمد، وأسند الحديث عن جده الدعبل بن علي الخزاعي مجال الاختصار، وذكر الدعبل بن علي أن هود النبي صلى الله عليه وسلم قد وصى بنبيه، فقال لهم: يا بني أوصيكم بتقوى الله وطاعته والإقرار بالوحدانية له، وأحذركم الدنيا، فإنها غرارة خداعة غير باقية عليكم ولا أنتم باقون عليها، فاتقوا الله الذي إليه تحشرون، ولا يفتننكم الشيطان، إنه لكم عدو مبين.

قال: ثم أقبل على قومه عاد، يوصيهم بما وصى به بنبيه، ويعظهم بما حكى الله عز وجل عنه، فقال: " وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله " إلى قوله: " ولا تتولوا مجرمين " . قال: فكان من ردهم عليه " يا هود ما جئتنا ببينه وما نحن بتاركي آهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين " . وقالوا من أشدّ منا قوة " إلى قوله: " ولعذاب الآخرة أحرى وهم لا ينصرون " .

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن قحطان بن هود النبي صلى الله عليه وسلم أنشد شعراً

يسلّي به بعض ما كان فيه هود النبي صلى الله عليه وسلم من الكآبة والجزع والقلق والارتماض والحرب على قومه عاد فقال: " البسيط "

إني رأيتُ أبي هوداً يورقه ... همّ دخيلٌ ولبالٌ وتسهادٌ

لا يجزئُكَ أنْ خُصَّتْ بداهيةٍ ... عادٌ بن لاوى، فعادٌ بسّ ما عادُ

عادٌ عصوا ربّهم واستكبروا وعتوا ... عمّا نُهوا عنه لا سادوا ولا قادوا

بعداً لعادٍ فما أوهى حُلومهمُ ... في كلِّ ما ابتدعوا أو كلَّ ما اعتادوا

قاموا يُعيدون عنهم من سفاهتهمُ ... ركبها، أهلكوا أيام ما حدوا

ألا يظنّون أنّ الله غالبهمُ ... وأنّ كُلاًّ لأمر الله ينقادُ

يا ليت شعري وليت الطير تُخبرني ... أسألم لي لقماناً وشداً!

ويقال: إن لقماناً كان على دين النبي هود. وهو صاحب النور السبعة. وخبره وخبر شداد يطول الشرح فيه.

وصية قحطان بن هود

وحدثنا علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن قحطان بن هود النبي صلى الله عليه وسلم وصى بنيته، فقال لهم: يا بني إنكم لم تجهلوا ما نزل بعاد دون غيرهم حين عتوا على ربهم وأعدوا آلهة يعبدونها من دونه وعصوا أمر ربهم، وأمر نبيهم هود وهو أبوكم الذي علمكم الهدى وعرفكم سواء السبيل. وما بكم من نعمة فمن الله عز وجل. وأوصيكم بذئ الرحم خيراً. وإياكم والحسد فإنه داعية القطيعة فيما بينكم. وأخوكم يعرب أميني عليكم وخليفتي بينكم، فاسمعوا له، وأطيعوا، واحفظوا وصيتي، واثبتوا عليها، واعملوا بها ترشدوا.

ثم أنشأ يقول:

أبا يشجُب أنتَ المرجى وأنتَ لي ... أمينٌ على سرِّي وجهري حافظُ

عليكَ بدينٍ ليسَ ينكرُ فضلهُ ... فقد سبقتُ فيه إليكَ المواعظُ

وواصلُ ذوي القربى وحطهمُ فإنهم ... ملاذك إن حامتْ عليكَ البواهظُ

ولفظكَ عربُهُ بأحسنِ منطقي ... فإنكَ مرهونٌ بما أنتَ لافظُ

وكُنْ كاتماً للغيظِ في كلِّ بدوةٍ ... إذا أُسخطتْ تلكَ العيونُ الجواهظُ

بغيضٍ على الأعداءِ سراً وجهرةً ... بحلمكَ ها تلكَ النفوسُ الغواهظُ

وما سادَ من قد شادَ إلا بحلمه ... إذا لم يلاحظْ من البخلِ لاحظُ

فكن ذا حجى محضَ الشمائلِ ماجداً ... حفيماً حمياً إنني لكَ واعظُ

وصية يعرب بن قحطان

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن يعرب بن قحطان حفظ وصية أبيه، وثبت عليها، وعمل بها. ويقال: إنه أول من تبجح بالعربية الواسعة، ونطق بأفصحها، وأوجزها، وأبلغها. والعربية منسوبة إليه مشتقة من اسمه. وهو الذي ذكره حسان بن ثابت الأنصاري في شعره الذي يقول فيه:

تعلمتم من منطلق الشيخ يعرب ... أبينا فصرتم معربين ذوي نفر
وكنتم قديماً ما لكم غير عجمة ... كلام وكنتم كالبهائم في القفر
تقولون مانونخ ودونخ وكنتم ... إذا ما التقينا كالرصاص على الجمر
منازلكم كوئي ومنها درجتكم ... إلينا كأفراخ درجن من الوكر
فحن وأنتم كالذي قال لم أزل ... أعلمه رمياً ليمنع لي ظهري
فلما نشأ واشتد ساعده رمى ... فلم يُخطِ ظهري إذ رمى لا ولا نحري
وفي ذلك يقول علقمة ذو جدن:

ومنا الذي لم يُعرب الناس مثله ... وأعرب في نجد هناك وغارا
وحدثنا علي بن محمد عن جده الدعبل بن علي، أن يعرب بن قحطان وصى بنيه مما وصاه به أبوه، فقال لهم: يا بني احفظوا مني خصالاً عشراً تكون كذا لكم ذكراً وذخراً. يا بني تعلموا العلم واعملوا به. واتركوا الحسد عنكم ولا تلتفتوا إليه، فإنه داعية القطيعة فيما بينكم، وتجنبوا الشر وأهله، فإن الشر لا يجلب عليكم خيراً. وأنصفوا الناس من أنفسكم لينصفوكم من أنفسهم. وإياكم والكبر؛ فإنه يبعد قلوب الرجال عنكم. وعليكم بالتواضع، فإنه يقربكم من الناس ويحببكم إليهم. واصفحوا عن المسيء إليكم، فإن الصفح عن المسيء يجنبكم العداة ويزيد مع السؤدد سؤدداً ومع الفضل فضلاً. وآثروا الجار الدخيل على أنفسكم، فإن جماله جمالكم. ولأن يسوء حال أحدكم خير له من أن يسوء حال جاره، لأن تفقد الناس للمقتدي أكثر من تفقدهم للمقتدى به. وانصروا مواليكم، فإن مواليكم في السلم والحرب منكم ولكم. وابن مولاكم من أنفسكم، وحقه عليكم مثل حق أحدكم على سائرهم. وإذا استشاركم مستشير فأشيروا عليه بمثل ما تشيرون به على أنفسكم في مثل ما استشاركم فيه، فإنها أمانة ألقاها في أعناقكم، والأمانة ما قد علمتم. وتمسكوا باصطناع الرجال أجدر أن تسودوا به عليهم، وأحرى أن يزيدكم ذلك شرفاً وفخراً إلى آخر الدهر. ثم أنشأ يقول: " من الوافر "

بني أبوكم لم يعد عمّاً ... به وصاه قحطان بن هود
فوصاكم بما وصى أباكم ... أبوه عن الإله عن الجدود
أذيعوا العلم ثم تعلموه ... فما ذو العلم كالطفل البليد
ولا تُصغوا إلى حسد فتغفوا ... غواية كل محتلّ حسود
وذودوا الشر عنكم ما استطعتم ... فليس الشر من خلق الرشيد
وكونوا منصفين لكل دانٍ ... لينصفكم مع القاضي البعيد
وباب الكبير عنكم فاتركوه ... فإن الكبير من شيم العنيد
عليكم بالتواضع، لا تريدوا ... على فضل التواضع من مزيد

وإنَّ الصَّفْحَ أَفْضَلُ ما ابْتَغَيْتُمْ ... به شرفاً مع المُلْكِ العَتِيدِ
وحقُّ الجارِ لا تنسوه فيكم ... فإنَّ الجارَ ذو الحقِّ الوكيدِ
عليكم باصطناعِ الخيرِ حتَّى ... تناولوا كُلَّ مكرمةٍ وجودِ

وصية يشجب بن يعرب

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن يشجب بن يعرب ثبت علي وصية أبيه دون غيره من
سائر إخوته وعشيرته، فساد الجميع بشبته علي هذه الوصية، وحفظه إياها وعمله بها.

قال وسألت بعض النسابين عن إخوته بني يعرب، فقال: العمالقة إخوته فبتان؛ أما الفئنة الأولى فمن ولد إرم
بن سام بن نوح النبي صلى الله عليه وسلم، وأما الفئنة الأخرى الذين كانوا سكان مكة وما حولها فمن ولد
يعرب بن قحطان إخوتهم طسم وجديس والحى جرهم الأولى وعاد الصغرى. فكان يشجب سادها ولاء من
إخوته، وساد عشيرته التي منها آباؤه من ولد سام بن نوح النبي صلى الله عليه وسلم.

وحدثنا علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن يشجب بن يعرب بن قحطان وصى بنيه، فقال لهم:
بني إني لم أسد إخوتي وعشيرتي إلا بحفظي وصية أبي يعرب بن قحطان وبعملي بها وثباتي عليها. وإن أبي
يعرب بن قحطان لم يسد إخوته وعشيرته إلا بحفظه وصية أبيه قحطان بن هود النبي صلى الله عليه وسلم
وبعمله بها وثباته عليها، وإن جدي قحطان بن هود النبي صلى الله عليه وسلم لم يسد قومه وإخوته إلا
بحفظه وصية أبيه هود النبي صلى الله عليه وسلم وبعمله بها وثباته عليها. فابقوا علي ما وجدتموني عليه،
وهو الذي أهميته إليكم كلاماً وشعراً مما وصاني به أبي. وقد حفظتم الكل، فاثبتوا علي، واعملوا به، والله
يخلفني عليكم، ثم الرشيد المهتدي منكم. وأنشأ يقول: " من البسيط "

أوصى النبي ابنه قحطان جدِّي بما ... وصى بنيه أبي من بعد قحطان
علم حواه أبي من دون إخوته ... وحزته بعهده من دون إخواني
وزادني يعرب من بعده شيماً ... وصى بنيه بما يوماً ووصاني
حفظتها حينما غيري استهان بها ... وحفظها آخر الأيام من شاني
أعبد شمس آيت اللعن من خلف ... هل أنت بعدي لنا في ملكنا ثان
هل أنت تحفظ عني ما حفظت وما ... به ثبت لكم ملكي وسلطاني
بلى رأيتك هشاً ماجداً فطناً ... وقد إخالك ظناً غير إعلان

قال علي بن محمد، قال الدعبل بن علي: فيقال إن عبد شمس بن يشجب حفظ وصية أبيه وثبت عليها
وعمل بها، فساد الجميع من إخوته وعشيرته وأهل بيته، وكان ملك الجميع وعمادهم، وهو سبأ بن يشجب
بن يعرب بن قحطان بن هود النبي صلى الله عليه وسلم، واسمه عبد شمس بن يشجب. ويقال: إنه أول من
سبى السببايا وأسر الأعداي فلذلك سمي سبأ، وهو عبد شمس بن يشجب بن يعرب، وهو أبو حمير وكهلان.
ويقال: إنه أغار على بابل بالخيال والرجال، ففتحها، وأخذ إتاوتها، وضرب بالخيال في الأرض، فكان لا

يذكر له بلد إلا قصدها بالخيـل والرجال وفتحها. وهو أول من فتح البلاد، وأخذ الإتاوة من أهلها. وفيه يقول بعض أهل زمانه:

لقد ملّك الآفاق من حيث شرقها ... إلى الغرب منها عبدُ شمس بن يشجب
لهُ مُلكُ قحطان بن هودٍ وراثَةً ... عن أسلاف صدق من جدود ومرأب
فما مثُلُ قحطان السماحة والندى ... ولا كابنه ربّ الفصاحة يعرب
ومن كالمُصنّى عبدِ شمس بن يشجب ... إذا عدُّ خيرُ الناس من خيرِ منصب
سما بالجياذ الأعوجية والقنا ... إلى بابلٍ في مقنبٍ بعد مقنب
قآب بأبكارٍ وحُورٍ أوانسٍ ... مع الحُرج منها في الخميس العصبب
ورعلٌ فيها الخيلُ شرقاً ومغرباً ... فمشرقُها يُجى له بعد مغرب

وحدثنا علي بن محمد، عن جده الدعل بن علي، أن عبد شمس وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي صلى الله عليه وسلم جمع أهل مملكته ووجوه أهل بيته وعشيرته، وأجلس ابنه حمير عن يمينه، وأجلس ابنه كهلان عن شماله، ثم قال لهم: أيها الناس، هل يصلح ليميني أن تقطع شمالي، أو يصلح لشمالي أن تقطع يميني؟ فقالوا بأجمعهم: أيها الملك، إنه لا يصلح شيء مما ذكرت. فقال لهم: إن أنتم إن همت يميني لقطع شمالي أو همت شمالي لقطع يميني وأكون غافلاً عنهما لا أسدُ الشمال عن اليمين ولا أسدُ اليمين عن الشمال فما أنتم صانعون؟ قالوا: نمنع اليمين عن الشمال، ونمنع الشمال عن اليمين. فقال لهم أعطوني العهود والمواثيق على وفائكم بما تكلمتم به وقتتم إنكم تفعلونه في يميني وشمالي. قال: فأعطوه العهود والمواثيق على ذلك.

ثم قال: أيها الناس إنني لم أرد بيمينني وشمالي إلا حمير وكهلان، وإنني لن آمن أن يختلفا بعدي في الأمر، ولم آخذ العهود والمواثيق عليكم إلا لتحولوا بين من يروم من هذين لصاحبه سوءاً أو خلافاً، وأن لا يطلب أحدهما بعدي أكثر مما يقسم له في مجلسنا هذا.

ثم قال لهم: أيها الناس، إن حمير أكبر من كهلان، وحقه أن يكون عن يميني، وإن كهلان أصغر من حمير، وحقه أن يكون عن شمالي، وإن نصيب حمير من ملكي مثل نصيب يميني من بدني، فانظروا - معشر الناس - ما يصلح لليمين، فادفعوه إلى اليمين، وما يصلح للشمال فادفعوه إلى الشمال.

قال: فدفعوا إلى اليمين السيف والقلم والسوط، وحكموا لليمين بذلك. وقالوا: هذه ثلاثة أشياء تعمل بها اليمين، ولا تعمل بها الشمال. ودفعوا إلى الشمال العنان والترس والقوس. وقالوا: هذه ثلاثة أشياء تعمل بها الشمال دون اليمين؛ أما القوس فإنه لا بد للشمال من معونة اليمين في القوس. قال: ثم حكموا بأن صاحب السيف لا يصلح له إلا الثبات والوقوف في موضعه، وحكموا أن صاحب القلم لا يكون إلا مدبراً فاتقاً راتقاً. وحكموا أن صاحب السوط لا يكون إلا رابضاً سائساً. ثم حكموا أن الفتق والرتق والثبات والوقوف والتدبير والرياضة والسياسة لا يكون إلا للملك الأعظم الرافد في دار المملكة، وهو حمير. قال: ثم حكموا أن العنان يقود أئنة الخيل للذب عن الملك ومكابدة الأعداء حيث كانوا. وحكموا أن الترس

يرد به البأس، ويدراً به الحد وتقهر به الحروب عند التلاقي، وتنجشم به المعارك. وحكموا أن القوس ينال بها المناوئ والمناصي على البعد منها. ثم حكموا قيادة أئنة الخيل والمكابدة للأعداء حيث كانوا ورد البأس ودفع الحد وقهر الحروب عند التلاقي ومناوأة الأعداء ومناصاتها لا يصلح إلا لصاحب الدولة والذاب عنها والرامي عن جهرتها والساد لخللها والقائم بجروها وفوحاتها وإصلاح الثغور وسدها عنها، وهو كهلان. قال: فتقلد حمير الملك الراتب في دار المملكة وسمي أيمن، جلوسه عن يمين أبيه، وتقلد كهلان الأطراف وأعمالها وثغورها ومناوأة العدو حيث كان. على أن لكهلان على حمير المعونة في ذلك مثل معونة اليمين للشمال بالرمي بالقوس، وحكموا أن معونة اليمين للشمال بالرمي بالقوس والنزع والنبيل، وهما في غير القوس المال والنجدة، وكان لحمير على كهلان الطاعة وكفاية ما تقلده كهلان.

ففي ذلك يقول هي بن بي بن جرهم: " من البسيط "

ما سادَ هذا الورى أبناء قحطان ... إلا لفضل لهم قدماً وإحسان
ما في الأنام لهم حي يشاكلهم ... ولا لواحدهم في الأرض من ثان
لم يشهدوا الناس في بدو ولا حضر ... حكماً كحكيم عظيم الملك والشان
سبا بن يشجب لابنيه وإئهما ... للسيدان الرفيعان العظيمان
أعطى ابنه حميراً منه اليمين وقد ... أعطى الشمال ابنه المسمى بكهلان
وقال يُقسم ملكي اليوم بينهما ... وقسمة الملك للاثنان سهران
تُعطي اليمين الذي تسطو اليمين به ... فيما تعانیه من سر وإعلان
وللشمال الذي تسطوا الشمال به ... عند النوائب من بأس وسلطان
والسيف والسوط صارا لليمين معاً ... وذلك القلم الجاري ببرهان
والقوس والترس صارا للشمال وقد ... صار العنان لهما والمُلك نصفان
فصار هذا بتاج الملك مُعتصباً ... دون الجحاحج من أولاد قحطان
وصارت الخيل تحمي الأرض قاطبة ... ومن عليها لهذا الآخر الثاني

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال إن حمير وكهلان لم يزالا على ذلك وأولادهما من بعدهما وأولاد أولادهما لحمير على كهلان بالطاعة، ولكهلان على حمير المال والنجدة، والملوك الرأبة في دار المملكة من حمير، والملوك في الأطراف والثغور من كهلان.

وصية حمير بن سبا

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وصى بنيه - وكانوا اثني عشر رجلاً - فقال: يا بني، ما اجتمع اثنان متآزران متعاضدان على أربعة نفر أو خمسة من أشتات الناس إلا غلباهم وملكوا أسرهم وقيادهم، وما اجتمع خمسة نفر متآزرين متعاضدون على عشرة أنفار من أشتات الناس إلا غلبوهم وملكوا أسرهم وقيادهم، وما اجتمع عشر أنفار متآزرين متعاضدون على الجماعة التي يكون ميلهم عدد أوزان الأتفس من أشتات الناس إلا غلبوهم وملكوا أسرهم وقيادهم.

وأثما عصابة غلبت أربعين رجلاً يوشك لها أن تغلب الثمانين والمائة وما فوق ذلك، وغلاب المائة حريون أن يغلبوا المائتين. وغلاب المائتين حريون أن يغلبوا الألف. ومنتهى العز للفرقة أن لا يطمع فيها الألف ألف رجل. وما من رجل أطاعه رجل فقام بالمجازاة له على ذلك إلا أطاعه عشرة، وما من رجل أطاعه عشرة أنفار فقام بالمجازاة لهم على طاعتهم له إلا أطاعه مائة رجل، ومن أطاعه مائة رجل فقام لهم بالمجازاة على طاعتهم له إلا أطاعه ألف رجل، وما من رجل أطاعه ألف رجل إلا وقد ساد لا محالة..

يا بني، أطيعوا الأرشد فالأرشد منكم، ولا تعصوا أخاكم الهميسع فإنه خليفتي بعد الله فيكم وأميني فيما بينكم، وإنه لسيفكم وأنتم حد ذلك السيف، وإنه لرمحكم، وأنتم سنان ذلك الرمح وما السيف لولا الحد، وما الحد لولا السيف، وما السنان لولا الرمح، وما الرمح لولا السنان، أنتم بالهميسع وله، والهميسع بكم ولكم. ثم أنشد يقول:

هميسعُ لم تجهلْ معِ الناسِ سيرتي ... فسرُّ لي بها في النَّاسِ بعدي هميسعُ
بنيَّ بهم أوصيكَ خيراً فإنَّهم ... تضرُّ بهم من شئتَ يوماً وتنفَعُ
وعمك وابن العمِّ دونك بعده ... مردُّ الأعداي الكاشحين ومدفَعُ
همُ لك كهفٌ بل همُّ لك موئلٌ ... وهمُّ لك من دون البرية مفرعُ
وليس عقابُ الطير يوماً وإن لها ... ينزلُ وتتقادُّ البغاثُ وتخصَعُ
توولُ إلى وكرِ سوى وكرها الذي ... توولُ إليه للميتِ وترجعُ
هميسعُ إنَّ الناسَ وحشٌ وإنهم ... إلى الرَّفقِ من خمسِ القواربِ أسرعُ
هميسعُ جدُّ بالخيرِ تُجزرُ بمثله ... فكلُّ امرئٍ يُجزى بما هو يصنعُ
هميسعُ دارِ الناسِ تُعطى قيادَهُم ... فحظُّك منهم أن يُطيعوا ويسمعوا
هميسعُ لا والله إن أنتَ حاصدٌ ... طوالَ الليالي غيرَ ما أنتَ تررعُ
فأوصيكُ بالإفضالِ مثلَ وصيتي ... ياخوتك القُربى فهل أنتَ تسمعُ

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن الهميسع حفظ وصية أبيه حمير، وثبت عليها، وعمل بها، وأجرى الناس على ما كان يجريهم أبوه حمير حين ولي الملك بعده، وسار فيهم بسيرته، وكذلك ابنه أيمن بن الهميسع الذي يقول فيه عمه مالك بن حمير:

نطيعُ ولا نعصي أحمانا الهميسعا ... وأيمنَ ما غنَّى الحمامُ وسجعا
لقد سادَ أملاكِ البلادِ هميسعٌ ... وما كملتْ حمساً سنوهُ وأربعا
وأيمنُ شِمنا فيه ما في هميسعٍ ... ربتهُ بنو هُودٍ فطيماً ومرضعا
فوالله لا ينفكُ يجمعُ أمرنا ... على ما عليه الرأيُ والأمرُ أجمعا
وئوصي بنينا أن تكونَ جموعُهُم ... لأيمنَ ما عاشوا وما عاشَ تَبعا

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن أيمن بن الهميسع لما ولي الملك بعد أبيه الهميسع بن حمير سار في الناس بسيرة أبيه وجده، وحفظ جميع ما تناهى إليه من وصايا آبائه وأسلافه التي يعملون عليها ويوصون بها ويحفظونها لسياسة الملك وصيانة الدولة.

وولي الملك بعده زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير الأكبر، وهو الذي يقول أخوه الغوث بن أيمن فيه:
أبي المَلِكُ إلا أن يكونَ وليُّه ... وما لِكُ بعدَ الهميسعِ أيمنُ
وأن يتلقاهُ زُهَيْرٌ وراثَةً ... ولتتبرَّ في ميسوطَةِ الأرضِ معدنُ
قد استوطنَ المَلِكُ الأثيلَ محلُّه ... وللجدرِ أغصانٌ وللملكِ موطنُ
أرى لزُهَيْرٍ أذعنَ الناسُ كلُّهمُ ... كما لأبيه أو لجدِّه أذعنوا

وصية زهير بن أيمن

وحدثنا علي بن محمد، عن جده الدعلب بن علي، أن زهير بن أيمن بن الهميسع وصى ابنه عريب بن زهير ولم يكن له ولد غيره، فقال: يا بني، قد انتهى إليك ما كان من وصية جدك سبأ بن يشجب بن يعرب، وما افرق عليه ابنه يوم الوصية والقسمة، وهما جدك حمير وكهلان فلا تجربين الأمر إلا على ما جرت به الرسوم من لدنهما إلى هذه الغاية. وأوص بعدك من يصلح لهذا الأمر من ولدك ومن إخوتك. وأوصيك بالثبات على ما وجدته عليه من العدل في الرعية والتجاوز عن المسيء والكف عن أذى العشيرة، والتحفظ بما والتجب إليها، فما المرء إلا بقومه ولو عز. وأنشأ يقول: " من البسيط "

عريبُ لا تسَمَ ما وصَّى أبوكَ به ... إنَّ الوصيةَ لما يعدُّها الرَّشِدُ
كلُّ امرئٍ عزُّه ... فاعلم عشيرتُه وفي العشيرةِ يلغى العزُّ والعُدُّ
ما البيتُ لو لم يكنْ فوقَ الأساسِ ولم ... تقلَّه دعمٌ للسعفِ والعمدُ
لولا العَريفُ ولولا خيسُ غابتهِ ... لما سطا موهناً بالقُدرةِ الأسدُ
فضيلة المرءِ تؤويه وتعضدُه ... إن الدليلَ الذي ليست له عضدُ
المرءِ تسلمُ ذنياهُ ونعمتهُ ... ما ليسَ يأتيه من إخوانه الحسدُ

وصية عريب بن زهير

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعلب بن علي، أن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير وصى بنيه وهم أربعة نفر؛ الصباح وجنادة وأبرهة وقطن بنو عريب بن زهير فقال لهم: يا بني، إني وجدت الشرف والسؤدد والعز والنجدة والطاعة والملك يدل على ستة أشياء. إني وجدت السؤدد لا يرايل الكرم، ولا يسود من لا كرم له. وإني وجدت العز مع العدد حيثما كان، ولا عز لمن لا عدد له، ولا عدد لمن لا عشيرة له، وإني وجدت النجدة في الأيادي، ولا نجدة لمن لا أيادي له، وإني وجدت الطاعة مع العدل، ولا طاعة لمن لا عدل له، وإني وجدت الملك في اصطناع الرجال، ولا ملك لمن لا يصطنع الرجال، يا بني، احفظوا وصيتي واثبتوا عليها، واعملوا بها، ولا تعصوا أحاكم قطناً فإنه خليفتي فيكم بعد الله وولي الملك بعدي دون أي أحد. وأنشأ يقول: " من البسيط "

مضتْ لأسلافنا فيمن مضى سننٌ ... ساسوا بها لهمُ ملكاً فما وهنوا

فَسُسْتُ بَعْدَهُمُ الْمَلِكَ الَّذِي مَلَكُوا ... وَأَنْتَ سَأَسُّ ذَاكَ الْمَلِكَ يَا قَطْنَ
لَمْ أَعُدْ سِيرَتَهُمْ يَوْمًا وَأَنْتَ لَهُمْ ... لَا تَعُدُّ عَن سِيرَتِي مَا أَوْرَقَ الْفَنُّ
بِالْأَصْلِ تُمَرِّعُ لَا بِالْفَرَعِ مَوْنَقَةٌ ... وَكَيْفَ يَخْضَرُ لَوْلَا أَصْلُهُ الْغُصْنُ
ذَرِ التَّغَافُلَ عَن نَيْلِ تَجُودٍ بِهِ ... إِنْ التَّغَافَلَ غَيٌّ وَهُدَى فِطْنُ

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال إن قطن بن عريب ولي الملك بعد أبيه، وسار في الناس بسيرته وسيرة أسلافه، وقلد الملك في حياته ابنه الغوث بن قطن بن عريب، وقال له: يا بني إني لم أقلدك الملك ارتفاعاً عنه ولا رغبة في أجل منه، إلا أني أردت أن أقف على سيرك بالناس وسياستك للملك بينهم، وأن أعلم كيف طاعتهم لك كيلا أخرج من الدنيا ولي غصة في ذلك من أمرك وأمر الناس. يا بني، أوصيك ياخوتك أن تفعل لهم ما فعلته لك، وأن تبذل لهم نصيحتك، وتخفف لهم جناحك. وأسألك أن تفعل للعشيرة ما سألتك أن تفعله لهم ولإخوتك، فما الراحة إلا بالأصابع، وما الساعد إلا بالعضد.

وأنشأ يقول: " من البسيط "

وَصَيْتُ غَوْتًا بِمَا وَصَّى أَوَائِلُهُ ... وَلِلْوَصِيَّةِ إِمَهَالٌ وَإِمَكَاتُ
قَدَّيْتُهُ الْمَلِكَ لَمَّا أَنْ رَأَيْتُهُ بِهِ ... خَصَائِلًا نَحْوَهَا لِلْمَلِكِ إِحْثَاتُ
وَرَثْتُهُ سُنَنًا قَدْ كُنْتُ وَارِثَهَا ... وَلِلْمَلُوكِ مَوَارِيثُ وَوَرَاثُ
قَدْ يُعِشُّ الْمَلِكُ ذُو الرَّأْيِ الْأَصِيلِ كَمَا ... يَجِي زِرَاعَتُهُ بِالرَّأْيِ حِرَاثُ
كُلُّ أَمْرِي وَالَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ لَهُ ... أَبَاؤُهُ وَلِكُلِّ مِنْهُ مِيرَاثُ
وَالشَّرِيُّ شَرِيٌّ وَلَوْ أَبْصَرْتَهُ عَسَلًا ... وَالرَّأْيِيُّ أَرِيٌّ وَلَوْ غَالَتْهُ أَحْدَاثُ
وَفِي الزَّوَاعِبِ خَطِيٌّ وَذُو خُورٍ ... وَفِي الْقَوَاضِبِ مِذْكَارٌ وَمِثْنَاثُ
وَفِي السَّحَابِ صَبِيرٌ هُوِيَّةٌ دَلَسٌ ... وَمَطْبِقٌ مَسِيلٌ بِالْجُودِ لِنَاثُ

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال إن الغوث بن قطن ولي الملك في حياة أبيه، وبعد وفاته دهرًا طويلًا، فكان من أحسن الملوك سيرًا، وأثبتهم على سنن آباءه وأجداده، وكذلك كان ابنه وائل بن الغوث بن قطن بن عريب حين ولي الملك بعده.

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن الغوث بن قطن كان وصى ابنه وائل بن الغوث، فقال له: يا بني، إن الملك دار بناها الله لأسلافك، فعمروها بالعدل والإحسان، فكانت الروائح إليها تروح، والسوام منها تسرح، كذلك ورثتها عمن قبلي، وكذلك أخلفها لك، فعليك بعمارتهما كما كان يعمرها من أسلافك. واعلم أن الدار دار بنيت لها، مبنية حيطانها، ومشيدة أركانها. وما لم يقع فيها أو في شيء من بنائها ثلثة، فإن الثلثة تتبعها مثلها، ولا يستقر إلا في حجرتهما. وأوصيك بالرعاة خيرا، فإن السوام لا يصلح إلا بمراعاة المسيم.

وأنشأ يقول: " من البسيط "

الْمَلِكُ دَارٌ لِمَنْ بِالْمَلِكِ يَعْمُرُهَا ... فَمَنْ يَفُوزُ بِهَا مِنْ آلِ قِحْطَانَ

مَنْ كَانَ مِنْهُمْ لَهُ الْإِحْسَانُ يَمْلِكُهَا ... بِمَا لَهَا مِنْ عِمَارَاتٍ وَسُكَّانٍ
 هَلْ سَاكِنِ الدَّارِ لَوْلَا الدَّارُ يَحْفَظُهَا ... إِلَّا كَمَنْ حَلَّ فِي صَحْرَاءَ غَيْطَانٍ
 وَمَا عَسَى الدَّارُ لَوْلَا مَا أَحَاطَ بِهَا ... لِعَامِرِ الدَّارِ مِنْ بَابٍ وَبِنْيَانٍ
 فَإِنْ تَعَاوَرَهَا ثَلُمُ فَسَاكُنُهَا ... وَسَاكِنُ الْفَدْفِدِ الْفَيْفِي سَيَّانٍ
 مَا الدَّارُ إِلَّا بِمَنْ يَحْتَلُّهَا وَبِمَنْ ... تَوْصِيهِ يَعْهَدُهَا مِنْهُ بِعُمَرَانٍ
 وَمَا عَسَى يَجْمَعُ الرَّاعِي إِذَا افْتَرَقَتْ ... لِيَلَّا عَنِ الْحِجْرَةِ الْعِزَّاءِ مَعَ الصَّانِ
 قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ: قَالَ الدَّعْبَلُ بْنُ عَلِيٍّ: يَقَالُ إِنْ وَاثِلُ بْنُ الْغَوْثِ بْنُ قَطْنِ بْنِ عَرِيبِ سَاسِ الْمَلِكِ بَعْدَ أَبِيهِ
 سِيَاسَةَ حَمْدِهِ فِيهَا أَهْلُ زَمَانِهِ، وَكَذَلِكَ ابْنُهُ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ وَاثِلِ بْنِ الْغَوْثِ بْنُ قَطْنِ بْنِ عَرِيبِ حِينَ وَلِيَ الْمَلِكُ
 بَعْدَ أَبِيهِ وَاثِلُ بْنُ الْغَوْثِ، وَسَارَ بِالنَّاسِ بِسِيرَةِ أَبِيهِ، وَأَجْرَاهُمْ عَلَى سَنَنِ أَجْدَادِهِ وَأَسْلَافِهِ. وَعَبْدُ شَمْسِ بْنِ
 وَاثِلِ هُوَ جَدُّ بَلْقَيْسِ بِنْتِ الْهُدْهَادِ بْنِ شَرْحَبِيلِ بْنِ عَمْرٍو، وَاسْمُ عَمْرٍو مَعَاوِيَةُ بْنُ الْمُعْتَرَفِ، وَاسْمُ الْمُعْتَرَفِ
 عَلَاقُ بْنُ شَدَدِ بْنِ الْقَطَّاطِ بْنِ عَمْرٍو، وَعَمْرٍو دَوَانِسُ بْنُ عَبْدِ شَمْسِ، فَمَا مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمَسْمُومِينَ أَحَدٌ إِلَّا
 وَقَدْ مَلَكَ مَا مَلَكَ عَبْدُ شَمْسِ وَأَبَاؤُهُ مِنْ قَبْلِهِ. وَأَخْبَارُهُمْ تَطُولُ عِنْدَ الشَّرْحِ.
 ثُمَّ انْتَقَلَ الْمَلِكُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ إِلَى حَمِيرِ الْأَصْغَرِ وَهُوَ زُرْعَةُ بْنُ كَعْبِ بْنِ زَيْدِ بْنِ سَهْلِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ فُلَسِ بْنِ
 مَعَاوِيَةَ بْنِ جِشْمِ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ وَاثِلِ بْنِ الْغَوْثِ. وَأَخُو زُرْعَةَ سَبَأُ الْأَصْغَرِ بْنُ كَعْبِ بْنِ زَيْدِ بْنِ سَهْلِ بْنِ
 عَمْرٍو بْنِ فُلَسِ بْنِ وَكَانَ حَسَنَ السَّيْرَةِ فِي النَّاسِ حِينَ وَلِيَ الْمَلِكُ، وَكَذَلِكَ كَانَ ابْنُهُ شَدَدُ بْنُ زُرْعَةَ.
 وَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ جَدِّهِ الدَّعْبَلِ بْنِ عَلِيٍّ، أَنَّ زُرْعَةَ بْنَ كَعْبِ بْنِ زَيْدِ بْنِ سَهْلِ وَصَّى ابْنَهُ شَدَادًا،
 فَقَالَ: يَا بَنِي، لَوْ أَنَّ مَلِكًا يَسْتَعْنِي بِتَأْقَبِ رَأْيِهِ دُونَ رَأْيِ النَّاسِ لَفَضَّلْتُ عَقْلَهُ وَكَمَالَ مَعْرِفَتِهِ وَبَارِعَ أَدَبِهِ
 وَفَطْنَتَهُ وَعَلِمَهُ بِمَا تَقَدَّمَ مِنَ التَّجَارِبِ لِأَسْلَافِهِ مَعَ مَا حَفِظَهُ وَرَوَاهُ وَأَحَاطَ بِهِ مِنْ سَنَنِ الْأَوَائِلِ مِنَ الْآبَاءِ
 وَالْمُلُوكِ مِنْ قَوْمِهِ وَسَنَنِ الْمَاضِينَ مِنَ الْأَجْدَادِ مِنْ أَعْنَى الْمُلُوكِ عَنِ مِشَارَكَةِ أَهْلِ الْأَرَءِ وَمِشَاوَرَةِ الْأَقْبِيَالِ،
 وَوَصِيَّةِ الْمُوصِينَ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَدُ لِلْمَلِكِ مِنْ يَعِينِهِ فِي الرَّأْيِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَلَا يَدُ لَهُ مِنْ مَشِيرٍ يَحْمِلُ عَنْهُ بَعْضَ
 مَا يَتَّقَلُهُ مِنْ ذَلِكَ. وَلَا يَدُ لِلْوَلَدِ مِنْ وَصِيَّةِ الْوَالِدِ، قَلَّتِ الْوَصِيَّةُ أَمْ كَثُرَتْ.

ثم أنشأ يقول: " من البسيط "

جَرَّبَتْ قَبْلَكَ أَسْبَابًا عَمِلْتُ بِهَا ... فِي الْمَلِكِ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ يَا شَدْدُ
 فَلَمْ أَجِدْ نَجْدَةً فِي الْمَلِكِ تَكْلُؤُهُ ... مِثْلَ التَّوَالِ إِذَا مَا قَلَّتِ الْعُدُ
 وَلَمْ أَجِدْ طَاعَةً كَالْعَدْلِ إِنْ نَزَعْتَ ... عَنِ طَاعَةِ لِمَلِيكَ فِي الْأَنَامِ يَدُ
 وَالنَّاسُ كَالْوَحْشِ إِنْ دَارَأْتُمْ شَرَعُوا ... وَإِنْ دَنَيْتُمْ لَهُمْ عَافُوا وَمَا وَرَدُوا
 مَتَى أَطَاعَكَ سَادَاتُ الْعَشِيرَةِ لَا ... يَعْصِيكَ فِي النَّاسِ فَاعْلَمْ بَعْدَهَا أَحَدُ
 دَارِ الْوَرَى وَذَوِي الْقُرْبَى وَجُدْ لَهُمْ ... بِالْخَيْرِ إِنَّكَ مَطْلُوبٌ بِمَا تَجِدُ
 وَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ جَدِّهِ الدَّعْبَلِ بْنِ عَلِيٍّ، أَنَّ شَدَادَ بْنَ زُرْعَةَ بْنَ كَعْبِ بْنِ زَيْدِ بْنِ سَهْلِ بْنِ الْمَلِكِ دَهْرًا
 طَوِيلًا لَمْ يَعْصِهِ أَحَدٌ مِنْ حَمِيرٍ وَلَا كَهْلَانٍ فِي مَلِكِهِ الَّذِي أَحَاطَ بِهِ بِأَكْثَرِ الْأَرْضِ وَمِنْ فِيهَا. وَيَقَالُ إِنَّهُ سَارَ فِي

الناس بسيرة آبائه، وأجراهم على سنن أجداده، وحفظ وصايا الأوتال من أسلافه، وعمل بها، وثبت عليها إلى أن توفي.

وانتقل الملك إلى ابن عمه الحارث الرائش بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس. فالرائش أبو التباينة السبعة. ويقال: إنه أول ملك استعمل الدروع لأصحابه وألبسهم إياها. ويقال: إنه قسم بلدان اليمن سهلها وجبالها وأوديتها بين عشائره، وأعانهم على عمارتها، وأخرج لهم فيها المستغلات، فارتاشت العشيرة واستغنى بعضها من بعض عن كثير مما كانوا محتاجين إلى الملك مما في يده، ولارتياشهم معه سموه الرائش، وإلا فاسمه الحارث بن قيس بن صيفي بن سبأ الأصغر.

وحديثي علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن الرائش وصى ابنه ذا المنار بن الرائش فقال له: إن أباك حوى لك الملك، وأقره في محنت أنت أوسط الناس فيه، وأولاهم به. وإنه ليوصيك بزيادة ما نالت يدك من الخير أن تفعله إلى من سمع لك وأطاع. واجعل العدل ناصراً، واتخذ الأحساب لك تجده، واصطنع العشيرة ليوم.

وأنشأ يقول:

حويتُ لكَ المَلِكَ الذي كانَ حازَهُ ... لأولادِهِ في سلفِ الدَّهرِ حَميرُ
فكُنْ حافظاً للمَلِكِ بعدي عامراً ... فقدُ يُحفظُ المَلِكُ الأثيلُ ويعمرُ
وعمرانُهُ أن يُيسطَ العدلُ دُونَهُ ... وبالعدلِ تنهى ما نهيتَ وتأمُرُ
وثابِرُ على الأحسابِ إنك لن ترى ... فتىً محسناً إلا يُعانُ ويُنصرُ
وقومكَ واصِلُهُم وحِطُهُم وإئِماً ... بقومكَ تعلو من أردتَ فتقهرُ

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال أن أبرهة ذا المنار بن الرائش ولي الملك بعد أبيه الحارث الرائش، وثبت على ما وصاه به أبوه الرائش وعمل به وحفظه، وهو أول ملك نصب الأعلام وبنى الأميال والعلامات على الطرق والمناهل، ولذلك سمي ذا المنار، وذلك أنه ضرب في الأرض يطلب بلاد في شرقها وغربها ليفتحها، وليأخذ إتاوتها واسمه أبرهة ذو المنار بن الرائش، وهو الذي ذكره صلاحة بن عمرو الأودي في شعره الذي ذكر التباينة والمثامنة حيث يقول: " من الوافر "

فلو دامَ البقاءُ إذا جُدودي ... وأسلافي بنو قحطانَ داموا

ودامَ لهم تبايعُهُم ملوكاً ... ولم تَمُتِ المِثامنةُ الكرامُ

وعاشَ المَلِكُ ذو الأذغارِ عمروً ... وعمروٌ حوَلَهُ التُّجْبُ اللُّهَامُ

وخُلِدَ ذو المنارِ وما تردى ... أبوه الرّائشُ المَلِكُ الهُمَامُ

مُلوكٌ أدَّتِ الدُّنيا إليهمُ ... إتاوتها ودانَ لها الأنامُ

ولمَّا يعصِهِم حامٌ وسامٌ ... ويافتُ حيثُ ما حلَّتْ ولأمُ

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: أما سام فأبو العرب، وأما حام فأبو النوبة والحبش والزنج والبيجة والبازة. قال: وقرأت في بعض الكتب أن خراسان أخو فارس، وأخوهما كرمان والكرد الأكبر، أبوهم يافت

بن نوح النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: إن الروم منه من ولد لام بن نوح النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه من ولد عيصو بن إسحاق بن إبراهيم صلى الله عليه وسلم. قال: فأما الروم الأولى فمن ولد لام بن نوح النبي صلى الله عليه وسلم، إخوتهم الصقالبة والخزر والغورط والكابل والصين والسند والهند. وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي أن أبرهة ذا المنار وصى ابنه عمراً ذا الأذعار بن أبرهة ذي المنار، فقال له: يا بني، إن الملك زرع، والملك قِيمٌ ملك الزرع، فإن أحسن القيم قيامه عليه في سقائه عند حاجته إليه، وفي إجلاله غرائب النبات مما نبته وتعاوده إياه بالكرم وحمايته عن المؤذيات من البهائم والطيور زكا حصاده، وكثر محصوله، وحمد القيم، واستكرمت الأرض، وإن كان القيم غير متفقد لذلك الزرع ولا متيقظ لمثابرتة على سقيه وكرمه وحمايته وحفظه أو هنته العطش، وأبيسه الخلى، وأكلته الطير، وداسته البهائم، فلا الزرع زاك، ولا الأرض معمورة، ولا القيم محمود. ثم أنشأ يقول:

يا عمرو إنك ما جهلت وصيبي ... إياك فاحفظها فإنك ترشد
يا عمرو لا والله ما ساد الورى ... فيما مضى إلا المعين المرشد
كل امرئ يا عمرو حاصد زرعِهِ ... والزرع شيء لا محالة يُحصد
إن كان مذموماً فيعرف ذونه ... بالدم فيه الزرع المتقلد
أو كان محموداً فتحمده أرضه ... والزرع والزراع كل يحمده

يا عمرو من نشر العلاء بنوآله ... كرمًا يُقال له الجواد السيد
يا عمرو أنت لك المهابة والعلاء ... في الناس والملك اللقاح الأتلد
واصل ذوي القربى وحطهم إنهم ... بهم تغم الأبعدين وتصمد
قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال أن عمراً ذا الأذعار بن أبرهة ذي المنار بن الراتش بن قيس بن صيفي بن سبأ الأصغر خرج يطوف للإعمال من شرق البلاد وغربها، فكان لا يسمع به قوم إلا وولوا الأذبار رهبة منه خائفين مذعورين، فلذلك سمي عمراً ذا الأذعار وهو أبو التبع الأول.

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن عمراً ذا الأذعار وصى ابنه تبعاً ورفيدة فقال لهما: غير كما يجهل الملك وسياسته ورعايته وكلاءته وما يحتاج إليه الملك من التيقظ والتدبير والحرم والحلم والمواجبة والخاماة والمناوأة، وما الملك إلا رحى تدور على قطب، فإن جعل لها مع ذلك القطب قطب آخر وقفت الرحى منها. وهذا لعلمنا أن الملك لا يستوي لاثنين إلا أن يكون أحدهما المقتدي والآخر المقتدى به. وقد علمتما أن التاج لا يسع الرأسين، ولا يجمع الرأسان في تاج أبداً، كما لا يصلح السيفان في غمد.

ثم أنشأ يقول شعراً يأمر فيه ابنه رفيدة بطاعة أخيه تبع بن عمرو ذي الأذعار وهو التبع الأول:

رُفيدة لا تعص أباك فإنه ... رأى رأيه أن يعطي الملك تبعاً
ليعطيك الخيل المغيرة تبع ... فترعى له الملك اللقاح الممنعا
ينال بك العليا وأنت كمنله ... تنال به طوداً من العز ميفعا

وتصبحُ ركناً دُونَهُ ووزيرُهُ ... منيعاً ويُمسي مؤثلاً لك مفزعاً
فما عَزَمَ ابنا سيِّدٍ وتعاضدا ... على سببِ رأياً هُما فيه أجمعا
وقاما لهُ إلا ونالاهُ جهرةً ... وفازا بهِ منْ دونِ منْ ذاقهُ معا

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال إن تبع بن عمرو ذي الأذعار ولي الملك بعد أبيه، وقلد أخاه ربيعة بن عمرو الوزارة، فكان إلى التبع ما يكون إلى الملك، وكان إلى ربيعة ما يكون إلى الوزير، فبقيا في ذلك دهرًا طويلاً على وصيته أبيهما عمرو ذي الأذعار، وسار الملك تبع في الناس سيرة أبيه ذي الأذعار، وبسط العدل والإحسان في الأرض، ورزق من الهيبة، وأعطى من الطاعة ما لم يعط أحد قبله. وهو الذي

يقول فيه الموثبان بن ذي حارث: " من السريع "

منْ ذا الذي يسألُ عن تُبِعٍ ... كأنَّهُ لم يلدِ ما تُبِعُ
وتُبِعٌ في الأرضِ سُلْطَانُهُ ... كالشَّمسِ في آفاقها تسطعُ
المَلِكِ اِخْمُودُ في مُلكِهِ ... والماجدُ المَهْرُ الذي يَمْرَعُ
قد ملكَ النَّاسَ فأحيَاهُمُ ... ناهيكَ منْ تُبِعِ مُسْتَمِعُ
ذُو الغارةِ السُّوداءِ تجري لهُ ... أواردِ العُصْمِ فلا تُمنعُ
وَخَيْلُهُ مُرسَلَةٌ في العدا ... زُهوًا رعالاً تمرعُ
إتاوةَ الأرضِ وَمَنْ حلَّها ... طوعاً إلى تُبِعِ تُدفعُ
ما رَفَعِ التُّبِعُ لم يُوهبهِ ... مُوهٍ وما أوهاهُ لا يُرفعُ

وصية تبع بن عمرو

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن التبع بن عمرو ذي الأذعار وصى ابنه حسان ملك يكر، وهو الثاني من التبابعة، فقال له: يا بني، إن الملك صنعة والملك صانع، فإن قام الصانع حتى قيامه على صنعتته استجادها الناس له، واستحكم أمره فيها فكسب بها المال والجاه وكانت له عدة وذخيرة. وإن استهان بها ولم يقيم حتى قيامه عليها ذهب الصنعة عن يده، وانقطعت منافعها عنه، واكتسب الدم لنفسه والحرمان، وكل نفس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت.

وأنشأ يقول: " من البسيط "

ما زِلْتُ بعدَ أبي بالملكِ مُنفرداً ... أسوسُهُ بعدَ أسلافي وأجدادي
أحمي محاسنَهُ جهدي وأكلؤُهُ ... دَهري وأحكمهُ بعدي لأولادي
وقدْ ضربتُ لكَ الأمثالَ فِيهِ وقدْ ... عرَفْتَ في المَلِكِ إصداري وإيرادي
فاعمَلْ بما لم أزلْ مُدْ كُنْتُ أعمَلُهُ ... في المَلِكِ يرشدك يا حَسَّانُ إرشادي

ويقال: إن حسان هو الأقرن. توفي بأرض المغرب، فولى الملك بعده إفريقيس. ويقال: إنه اسمه إفريقيش، كل ذلك قد قيل. ويقال إنه هو الذي بنى بالمغرب مدينة، يقال لها إفريقية، منسوبة إلى اسمه. وهو الثالث من

التبابعة.

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن إفريقيس وصى أخاه أسعد أبا كرب، فقال له: قد علمت ما عهد إلي أبونا مما عهد إليه أبوه من وصايا الآباء والأجداد في سياسة هذا الملك الذي أوتينا من دون غيرنا، فعليك بالتمسك بما وجدته عليه من بث العدل واصطناع الرجال ومكابدة العدو والصفح عند الاقتدار وسد الثغور وإتقاء الخلل.

وأنشأ يقول:

لَمْ يَرَوْا عِنْدَكَ ذَخِيرَةً مِمَّا بَهَا ... مَلِكُ الْبِلَادِ أَحْوَكُ إِفْرِيقِيْسُ
لَا تَعْدِلَنَّ وَصِيَّةً وَصَاكَهَا ... إِنْ الْوَصِيَّةَ مَقْصَدُ مَا نَوْسُ
كُلُّ امْرِئٍ يُبْلُوغُهُ فِي قَوْمِهِ ... الْكُلُّ كُلُّ الرَّئِيسِ رَيْسُ
وَالنَّاسُ كَالْأَغْصَانِ غُصْنٌ نَاضِرٌ ... مِنْهَا وَذَاوٍ قَدْ عَلَاهُ الْبُؤْسُ
أَوْصِيكَ خَيْرًا بِالْأَنَامِ فَإِنَّمَا ... لَكَ مُلْكُهُمْ وَالْمَنْصِبُ الْقُدْمُوسُ

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن أسعد وهو الرابع من التبابعة ولي الملك بعد أخيه إفريقيس بن حسان بن تبع بن عمرو ذي الأذعار، فسار في الناس سيرة الأوائل من آبائه وأجداده، وملك من البلاد ما لم يملك أحد قبله، وأعطى من العدد والعدد ما لم يعط ملك، وهو الذي يقول: " من السريع "

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ خَيْلِنَا ... مَا الْعَالِمُ الْمُخْبِرُ كَالْجَاهِلِ
تَسْعُونَ أَلْفًا عَدَدًا بُلْقُهَا ... وَذُهُمَّهَا كَالْعَارِضِ الْوَابِلِ
عَنْ مُلْكِنَا النَّاسِ لَمْ تَعَصِينَا ... فِي الْأَرْضِ مِنْ حَافٍ وَمَنْ نَاعِلِ
أَدَّتْ لَنَا الْخَرْجَ أَحَابِيْشُهَا ... وَالسَّنْدُ وَالْمَهْدُ مَعَ كَابِلِ
وَالصَّيْنُ قَدْ أَدَّتْ لَنَا خَرْجَهَا ... فِي عَاجِلِ مِنْهَا وَفِي آجِلِ
وَكَمْ لَنَا فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مِنْ ... مُسْتَخْرِجِ جَابٍ وَمِنْ عَامِلِ
فِي أَرْضِ كِرْمَانَ وَفِي فَارِسِ ... وَفِي خُرَّاسَانَ وَفِي بَابِلِ
كُلًّا فَتَحْنَاهَا لَنَا غَنْوَةً ... تَحْفَلُ مِثْلَ الدَّبِيِّ السَّائِلِ

ويقال: إن أسعد الكامل مرض مرضة أشرف منها على التلف، وذلك عند انصرافه من سفره الذي سافر فيه حين دخل الظلمات، وكان له ولد يقال له حسان الأصغر، سماه باسم أبيه، ويقال: إنه لم يملك شيئاً، وهو الذي ذكره أبوه أسعد الكامل في شعره، يوصيه فيه عند مرضته تلك، حيث يقول:

حَضَرَتْ وَفَاةً أَيْلِكَ يَا حَسَّانُ ... فَانظُرْ لِتَفْسِكَ وَالرَّيْمَانَ زَمَانُ

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن أسعد الكامل وصى، وهو عم أبيه، وهو المعمر من التبابعة، وهو تبع بن زيد بن ربيعة بن عمرو ذي الأذعار، وهو الخامس من التبابعة، فقال له: ما من شيء إلا وله أصل وأساس، وأصل الملك وأساسه الرجال، وأساسها الاحسان إليها، ومن أحسن إلى الرجال أطاعته وسمعت له، ومن سمعت له الرجال دانت له البلاد ومن فيها، وما دانت البلاد ومن فيها إلا لملكها بعد الله عز وجل، وحكم لملكها أن يستديم له الملك فيها بالعدل والإحسان، فإنه لا طاعة لمن لا عدل له،

ولا ملك لمن لا إحسان له. ثم أنشأ يقول: " من البسيط "
لا مُلْكَ إلا الرِّجَالُ المُحْضِرُونَ لَهُ ... بِالمَشْرِفِيَّةِ وَالمُصَمِّ المَدَاعِيسِ
في الخافقين لهم ضربٌ تطيرُ لَهُ ... أيدي الحِماةِ وهَامَاتُ القنَاعِيسِ
فَهُمُ أسْلُسُ العُلا والمَكْرُمَاتِ ... وَهُمُ لرائِمِ المُلْكِ عِزٌّ غيرُ مَنكُوسِ
مَتى أَطاعُوهُ وَاهْتَلَتْ تَباعَةٌ ... في الرِّحْلِ مِنْها وَفي الخيلِ الكَرادِيسِ
نالَ العُلا وَحوى المُلْكِ العَظِيمِ بِهِمُ ... وَالْحِظُّ في المُلْكِ جَاءَ غيرَ مَنحُوسِ
وَمَنْ عَصُوهُ فَمَدْحُورٌ وَمُنكَشَفٌ ... وَمَنْ أَطاعُوهُ عالٍ غيرَ مَنحُوسِ
وعدة المَرءِ دُونَ النَّاسِ أُسْرَتُهُ ... وَهَلْ تُشادُّ العُلا إلا بِتَأْسِيسِ

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: ابن التبع بن زيد بن رفيدة بن عمرو بن أبرهة بن الراتش، ولي الملك بعد أسعد بن حسان المعروف بمليكيكرب الأقرن، فأحسن سيرته في الناس، وملك ما ملك الأوائل من آبائه وأجداده، ويقال إنه وصى ابنه ياسر بنعم بن تبع بن زيد بن رفيدة بن ذي الأذعار، وهو السادس من التبابعة، فقال له: يا بني إن الملك مصباح، والملك واقد ذلك المصباح، فإن حفظه من ريح يطفئه أو من ذبالة لا تساعفه أو من وقود يقطع به منه أو من مستوقد لا يخونه دام له ذلك المصباح وسلم ضياؤه ونوره ما شاء أن يضيء له، وإن هو غفل عنه بعد أن أوقده، ولم يقم حق قيامه عليه أطفأته الريح، فإن سلم من الريح لم يسلم أن يطفأ عند انقطاع الوقود عنه، فإن سلم من انقطاع الوقود لم يسلم من أن يطفأ عند احتراق الذبالة، ولا يؤمن عند احتراق الذبالة من مستوقد الصباح أن يطير المستوقد قلقاً؛ فلا النور ساطع، ولا المستوقد صحيح، ولا الذبالة سالمة، ولا الواقد محمود. ثم أنشأ يقول:

صَرَبْتُ لَكَ الأَمثالَ يَاسِرُ يَنعَمُ ... وَأنتَ بما يُوحى إِلَيْكَ خَبيْرُ
وَأنتَ غداً لِلْمُلْكِ مِنْ دُونَ كُلِّ مَنْ ... يُحاوِلُ مُلْكاً في البِلادِ جَدِيرُ
أَعِنَ وَاسْتَعِنَ ما دُمْتَ لِلعِزِّ رَاكِباً ... وَفي كَهْكَ المُلْكُ اللِّقَاحُ جَرِيرُ
فإِنِّي رَأيتُ المُلْكَ مِصباحَ سَامِرٍ ... إِذا نالَهُ أَمْرٌ فليسَ يَبيْرُ
فإن لم يخنه بؤسه ووقوده ... ويسلم من ريح عليه تدورُ
يُضيءُ وَمِنْ تَحْتِ الظَّلامِ سَراجُهُ ... يُضيءُ لَهُ الدِيجورُ فَهُوَ بَسيْرُ

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال إن ياسر بنعم بن تبع بن زيد بن ذي الأذعار بن ذي المنار بن الراتش بن قيس بن صيفي بن سبأ الأصغر ثبت بعد أبيه علي وصايا آبائه وأجداده، وحفظها، وعمل بها في سياسة الملك ما ثبته بين الناس، ولم يتعد سيرة أسلافه وسنن أوائله.

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن ياسر بنعم بن تبع بن زيد بن رفيدة بن عمرو وصى ابنه شمر ذا الجناح، فقال له: يا بني، دبر الملك، فإن التدبير ثباته، والإحسان أساسه، والعدل قوامه والرجال عزه، والمال نجدته، والعشيرة عدته. ولا ملك لمن لا تدبير له، ولا ثبات لمن لا إحسان له، ولا إحسان لمن لا عدل له، ولا عدل لمن لا قوام له، ولا قوام لمن لا رجال له، ولا رجال لمن لا بذل له.

ثم أنشأ يقول:

أوصيك شمرُ ذا الجناحِ وصيَّةً ... ما زلتُ أحفظُها لجدِّك تُع
ما لاحَ لي درُّكُ العُلا إلا بهَا ... وبها اهتديتَ إلى السبيلِ المهيعِ
ولقد ملكتُ بها البلادَ وحُرَّتُها ... ما بينَ مغربِ شمسِها والمطلعِ
فاحفظْ لملكِكَ ذا الجناحِ وصيَّتِي ... وعليكَ شمرُ بالخصالِ الأرفعِ
حشدِ الرِّجالِ وإثمُ لكِ عُدَّةٌ ... وبهمِ تُدافعُ كلَّ أمرٍ مُفطعِ
وعليهمُ وبهمِ تدورُ رحي العُلا ... والمكرُماتُ وكلُّ أمرٍ ميفعِ
واعلِلْ فإنَّ العدلَ يُحمدُ عُيَّةُ ... والخيرُ مهما أسطعتَ منه فاصنعِ
كلُّ امرئٍ يُجزى بما سبقتَ له ... فإذا أردتَ حصادَ زرعِكَ فازرعِ

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن شمر ذا الجناح ولي الملك بعد أبيه، وهو آخر التتابع وأعظمهم ملكاً وسلطاناً، وهو الذي يقال له التبع الأكبر، وهو الذي سار في الظلمات بعد أسعد الكامل في منقطع الأرض، يطلب فيها ما طلب ذو القرنين وأسعد الكامل، وهو الذي بنى مدينة سمرقند وإليه نسبت. وكتب على باب مدينة مرو كتابه الذي يعرف به وله إلى اليوم، وكذلك كتب على صنم المغرب الذي ليس وراعه إلا الرمل الذي تغطط أمواجه كما تغطط أمواج البحر، ويجري كما تجري السيول الطامة في أوديتها. وقد ذكر ذلك الدعبل بن علي الخزاعي في شعره الذي يقول فيه: " من الوافر "

وهم سَمُوا سمرقنداً بِشَمِرٍ ... وهم غرَسُوا هُنَاكَ التُّبَيِّنا
وهم كَتَبُوا الكِتَابَ بِبابِ مَرَوٍ ... وبابِ الصَّيْنِ كَانُوا كَاتِبِيْنَا
وفي صنمِ المِغَارِبِ فَوْقَ رَمَلٍ ... مَسِيلٌ تُلُوهُ تَحْكِي السَّقِينَا

وهذا التبع المذكور هو أول ملك بشرٍ بمحمد النبي صلى الله عليه وسلم بعد أسعد الكامل وآمن به، وحج واعتمر وطاف بالبيت سبوعاً، ونحر البدن، وكسا الكعبة، وجعل لها باباً وحلقاً. وقد ذكر ذلك في شعر له حيث يقول: " من الخفيف "

وكسونا البيتَ الَّذِي حَرَّمَ اللُّ ... هُ ملاءَ مُعَصِّدًا وَبُرُودَا
ثُمَّ طَفْنَا بِهِ مِنَ السَّيْرِ سَبْعًا ... وجعلنا لبابه إقليدا
ونحرنَا بالشَّعبِ تسعينَ ألفًا ... فترى النَّاسَ حَوْهَنَّ وَرُودَا
وقد ذكر ذلك حكم بن عبلس الكلبي في شعره الذي يقول فيه: " من الوافر "
وَتُبَّعْنَا الَّذِي قَدِ طَافَ سَبْعًا ... وَزَارَ الْبَيْتَ قَبْلَ الرَّاثِرِينَا
وَأَمَّنَ بِالنَّبِيِّ وَمَا رَأَاهُ ... فَكَانَ مِنَ الْهُدَاةِ الْفَاثِرِينَا

ويقال: إنه زين الملوك وأبناء الملوك من قومه من قبائل العرب والعجم ومدائنها وأمصارها. فكان لكل قبيلة من العرب ولكل حي من العجم ملك من قومه إما حميري وإما كهلاني، يسمع له ويطاع. ويقال إنه جمع الملوك وأبناء الملوك الأوائل وأبناء المقاول من قومه فقال لهم: أيها الناس، إن الدهر قد نفذ أكثره، ولم يبق

إلا أقله، وإن الكثير إذا قل إلى نقصان أخرى منه إلى زيادة، فسارعوا إلى المكارم، فإنها تقربكم إلى الفلاح، واعملا على أن من سلم من يومه لم يسلم من غده، ومن سلم من غده لم يسلم مما بعده. وإنكم لتؤوبون مآب الآباء والأجداد، وتصيرون إلى ما صاروا إليه الأولون، وكل يوم الموت أقرب إلى المرء من حياته منه، ولكل زمان أهل، ولكل دائرة سبب، وسبب عطلان هذه الفترة التي من عزّ فيها بزمن هو دونه ظهور نبي، يعزّ الله به دينه، ويخصه بالكتاب المبين على يأس من المرسلين، رحمة للمؤمنين وحجة على الكافرين، فليكن ذلك عندكم وعند آبائكم من بعدكم وأبناء آبائكم قرناً فقرناً وجيلاً فجيلاً، لتتوقعوا ظهوره، وتؤمنوا به، ولتجتهدوا في نصرته على كافة الأحياء، حتى يفىء الناس له إلى أمر الله.

ثم أنشأ يقول: " من المتقارب "

شهدتُ على أحمدٍ أنّه ... رسول من الله باري النَّسَمِ
فلو مدّ دهرى إلى دهره ... لكنتُ وزيراً له وابن عم
وألزمتُ طاعته كل من ... على الأرض من عرب أو عجم
فأحمدنا سيّد المرسلين ... وأمتُهُ تلك خير الأمم
هو المرتضى وهو المصطفى ... وأكرم من حملته القدم

ويقال: إن الملوك وأبناء الملوك من حمير وكهلان لم تنزل تتوقع ظهور النبي صلى الله عليه وسلم، وتبشر به، وتوصي بالطاعة له والإيمان به والجهاد معه والقيام بنصرته من ذلك العصر إلى أن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانوا له حين بعث من أحصر الناس على نصرته وطاعته؛ فمنهم من سمع له وأطاعه وآمن به قبل أن يراه، ومنهم من وصل به كتابه فسمع له وأطاع وآمن وصدق، ومنهم من وازره ونصره وأيده وجاهد في سبيل الله دونه حتى أتاه اليقين. نطق بذلك كتاب رب العالمين في قوله جلّ شأنه: " والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون " . وقوله تبارك وتعالى: " يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم " ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم " . يقال إنهم همدان. وقد كان من خبر سيف بن ذي يزن الحميري في أمر النبي صلى الله عليه وسلم وكلامه وإلقائه إلى عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف عند وفوده على سيف بن ذي يزن ما كان. ويقال: إنه لم يكن لسيف بن ذي يزن ذلك العلم في أمر النبي صلى الله عليه وسلم إلا من جهة تبع، وما تناهى إليه مما كان ألقاه إليهم تُبع وعرفهم به من أمر النبي صلى الله عليه وسلم.

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن يوسف ذا نواس لما انتقل الملك إليه ظهر له الحسد من بعض قومه وبلغه عنهم قوارص مما يلفظون به ويخوضون فيه من أمره، قال فأقبل عليهم وقال: يا أيها الناس، ما من رئيس حقد فأفلاح، ولا من رائم أمر يستعجل فيه فأنجح، ألا وكأني بمن يقول: إن يوسف ذا نواس ملك هذا الأمر وليس من ورثته ولا من أبناء من حازه من قبله. وكلا، ليس الأمر كما زعم الزاعم، ولكن

للملك أساس، من حازه حاز الملك.

ثم أنشأ يقول: " من الوافر "

أساسُ المُلِكِ ويحكُمُ رِجَالٌ ... إذا ما المُلِكُ زالَ عنِ الأساسِ

بلِ المُلِكُ الأثيلُ لهمُ مُتَنَى ... وفيهم كلُّ ذي عِزٍّ وبِاسِ

ومنْ يُعْطِ الرِّجَالَ ... ويُطعنَ دونَهُ يومَ الحماسِ

ينالُ بها من الدُّنيا الذي قد ... حوَاهُ المرءُ يوسفُ ذو نُواسِ

فَكَمَ من تاجِ مُلِكٍ قد رأيتُم ... تحوَّلَ من أناسٍ في أناسِ

ألا يا للقبائلِ أنصِتُوا لي ... لأخبركمُ فإنَّ الطَّبَّ آسِ

وإنَّ وصيتي ما زلتُ قديماً ... لها يا للقبائلِ غيرَ ناسِ

أطيعُوا الرِّئاسَ منكمُ كي تسودُوا ... وهل ذنبٌ يسودُ بغيرِ راسِ

فإنَّ النَّاسَ مِثْلُ الأَرْضِ أرضٌ ... وإنَّ مُلوكَهُم مِثْلُ الرِّوَّاسِ

ولولا الرِّئاسياتُ إذاً لمادتْ ... روايُ الأَرْضِ حقاً

وأجناسُ الرِّوَّاسِ الشُّمُّ ستُّ ... فذو تبرٍ يَصانُ وذو نُحاسِ

وذو ماءٍ وذو زرعٍ وضرعٍ ... وذو ثقلٍ كأمثالِ

وحَدَّثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن ذارعين واسمه يريم بن زيد بن سهل بن عمرو بن

قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس أقبل على أهل بيته وولده، وكان عُمراً طويلاً حتى ضعف

بصره وقصر خطاه وكلَّ سمعه، فقال لهم: يا بني، قد حفظت من وصايا الأوائل من أسلافي، وسلكت

مسلك آبائي وأجدادي، وأفادني الدهر بالكبر والشباب من الأدب والزيادة في المعرفة ما يصلح به المرء

دنياه ومعيشتة فيما انتهى فيها، وما يحيي به المآثر والمفاخر والمكارم أكثر مما أورثني الآباء والأجداد من

ذلك.

وأنشأ يقول: " من الوافر "

لئن أمسيتُ لا آلوهُوضاً ... وأني يا بني كما تروني

كبرتُ وهدّني مرُّ الليالي ... وصرتُ من الزَّمانِ إلى الرمين

وودّعني الشبابُ ودقَّ عظمي ... فلستُ أنوءُ إلا باليدينِ

وأصبحَ كالبيردِ عظمُ ساقِي ... ولازمني ارتعاشُ الركبتينِ

وأظلمَ ما على عينيَّ ما ... قتلَ من سقوطِ الحاجبينِ

فما فَمَّتْ بنو قحطان يوماً ... إذا ذكرتُ مساعي ذي رُعينِ

نشأتُ مع الملوكِ وكنْتُ فيهم ... أسوسُ لهم أمورَ الخافقينِ

وكنْتُ لمعشري إذ كنتُ ركناً ... وزينا في الحوادثِ غيرِ شينِ

بني وإخوتي إن حانَ يومي ... وشاهدتمُ مع الأشهادِ حيني

سبيلي في العشيرةِ فاسلكوه ... لتحمدُهُ العشيرةُ بعد عيني

ولا تسموا لجهلة فغوروا ... غواية ساقط ما بين
فإن العقل مفتاح المعالي ... وإن الجهل شين غير زين

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن ذا مقل أقبل على عشيرته وولده، فقال لهم: ما
الاثنان منكم وإن قرب أمرهما مثل الواحد وإن عظم أمره، اجتمعوا تعزوا، ولا تفرقوا فندلوا، فإن القداح
واحدة يهون كسره، والاثنان منها يصعب أمرهما وكسرهما، والثلاثة منها يمتنع عن الكسر، ثم أنشأ يقول:
" من البسيط "

ما يغلب الواحد الاثنان في سبب ... ولا يحيد عن النجد الضعيفان
ما ساعد أبدا كالساعدين وإن ... لم يبلغاه ولا كالقدح قدحان
فرد الرجال دليل لا نصير له ... وذو الشراكة في عز وسلطان
إن القداح إذا لا ويتهن معاً ... عزت ولما تحك فيها الذراعان
ولا تقر إذا ما إن فرقت لها ... تحت الرواجب من مثنى ووجدان
هاتا ضربت لكم قومي بها مثلاً ... وقد علمتم لكم سرّي وإعلاني
أوصيكم بالذي ما للرجال به ... أوصى الأوائل من أملاك قحطان

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن ذا جوال واسمه عامر بن حرب بن ذي مقل أقبل على
إخوته وولده، فقال لهم: ما كل موص يبلغ فيما يوصي. ولا كل موميء يصيب فيما يوميء. للبلاغة دليل،
وللإصابة مواقع والحكم لا يعدو المهيع ولا يضل النهج السوي. أطيعوا الأرشد منكم تعزوا، ولا تعصوا
أمره فندلوا، واجتمعوا تهابوا وترجوا، ولا تفرقوا فبعادوا وتجروا. وأنصفوا الناس واعدلوا فيما يفضى
إليكم من أمورهم تحمدوا وأحسنوا أخلاقكم معهم تسودوا، فالشرف مع الحمد حيث كان، والعفو في
الإنصاف حيث استبان، والطاعة مع السؤدد.
ثم أنشأ يقول:

متى ما اجتمعتم نلتم العز كلة ... وأعطيتم الملك اللقاح المؤثلا
وأضحى مواليكم عزيزاً مؤيداً ... وأمسى معاديكم مهاناً منذلاً
وصار لكم أمر الأنام ونهيمهم ... وصرتهم لهم ركناً وكهفاً وموثلاً
بكم يهتدي من يطلب القصد منهم ... ويسطو بكم منهم على من تطولاً
وما يستوي السيفان ماض يهزه ... شجاع وملقى صار جناحاً مقللاً
وما القاهر المخصوص بالنصر كالذي ... يضل ويؤمسي خائفاً متوجلاً
وما من ينادي قومه فتجيبه ... ثمانون ألفاً جحفاً ثم جحفاً
كمن لو تنادى آخر الدهر لم يجد ... له ناصر إلا غويًا منذلاً

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي أن ذا مناخ دعا إخوته وقومه من بني عبد شمس فقال لهم:
لا يسود المرء إلا بكرمه ولا ينال منتهى العز إلا بقومه، ولا يرزق محبته الناس إلا بإحسانه، ولا ينال الملك

إلا ببذله المال للخاصة والكافة من نصرته ورجاله، ولا يدوم له الملك إلا بعدله فيهم وإنصافه لهم، ثم أنشأ يقول: " من البسيط "

ما سادَ فيمنَ مضى من قبلنا أحدٌ ... إلا المشهَرُ والمعروفُ بالكرمِ
ولا حوى المُلُكُ مأمولٌ ومُرتغِبٌ ... إلا بمعشرةِ العالين في الفخمِ
ومحسنُ القومِ لم يعدمَ مودَّتَهُمُ ... ومن ودادَهُمُ المنمومُ في العدمِ
ولا ينالُ امرؤٌ مُلكَ الملوكِ إذا ... لم يبنلُ المالَ للأشباعِ والخدمِ
ولا يدومُ لَهُ مُلكٌ ولا شرفٌ ... إلا بإنصافِهِ والعدلِ في الأممِ

وصية يزيد بن هاشم

وحديثي علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن ذا الكلاع واسمه يزيد بن هاشم أقبل علي بني عمه وإخوته وولده فقال لهم: معشر الجماعة من ولدي وإخوتي وبني عمي، لو كان الملك يدوم لأحد لدام لأسلافكم الذين ملكوا البلاد، فأحسنوا السيرة في أهلها وأخذوا للضعيف من القوي وأمنوا السبل وأذلوا الجابرة، وأبادوا المفسدين، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وعمروا الأرض شرقها وغربها، وعندكم مما أنا باثٌ لكم شارح عليكم من أخبارهم ومآثرهم ومفاخرهم مما تجترئون به عما بعده. ثم أنشأ يقول: " من المتقارب "

شهدتُ الملوكَ وعاشرتَهُمُ ... وكنتُ وزيراً لَهُمُ وابن عمِ
فحازوا البلادَ ومن حلَّها ... من النَّاسِ من عربٍ أو عجمِ
وقد أخذوا الخرجَ في شرقها ... وفي غربها من جميعِ الأممِ
ودانتْ لَهُمُ سُوقةُ العالين ... وأهلُ العُلا والمُلوكِ القَدَمِ
بني وإخوتي الأقربين ... ومن بينكمُ لي من ذي رحمِ
عليكم ... من الجِدِّ ما اسطعتمُ والكرمِ
فإنَّ التَّوَالِ يُعزُّ الرِّجالَ ... وبنزِلُهُمُ في الذُّرى والقِمَمِ
به فَضَّلَ الأجودونَ الكرامَ ... على كلِّ من حملتهُ القَدَمِ
به كملَ المالكُ المالكينَ ... من أبناء قحطانَ قدماً وتمِ
وصاتي ها، فيها فاعملوا ... وصوتوا بها المُلُكَ بعدَ النعمِ
وإنَّ يزيداً لكمُ ذا الكلاعِ ... لفي النَّصحِ والوُدِّ لا يَتَّهَمِ
ومهما قضى ربُّكمُ كائنٌ ... من الأمرِ فيه وجفَّ القَلَمِ

وحديثي علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن سيف بن ذي يزن بن أسلم بن زيد بن الغوث الأصغر بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن شدد بن زرعه وهو حمير الأصغر بن كعب بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس لما وفد إليه عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وأميه بن

عبد شمس القرشي وخويلد بن أسد بن عبد العزى في النفر الذين وفدوا بهم من قريش، فاستأذن عبد المطلب له ولمن معه بالوصول إلى سيف بن ذي يزن واسمه النعمان بن معد يكرب بن أسلم بن زيد بن الغوث الأصغر. قال: فأذن لهم بالدخول، فدخلوا عليه، فاستأذن عبد المطلب بن هاشم في الكلام، فقال له وزير سيف بن ذي يزن: إن كنت ممن يتكلم بين أيدي الملوك فقد أذناً لك. قال: فقام عبد المطلب بين يديه وحوله الملوك وأبناء الملوك، وعن يمينه وشماله الأقاليم وأبناء الأقاليم وسيفه مجرد بين يديه، وهو مضمخ بالعنبر، وويص المسك في مفرقه. فقال له عبد المطلب: إن الله قد أحلك أيها الملك محلاً رقيقاً صعباً منيعاً شامخاً باذخاً، وأنتك منبتاً طابت أرومته وعزت جرثومته وثبت أصله وبسق فرعه في أكرم معدن وأطيب موطن، فأنت - أبيت اللعن - رأس العرب الذي تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومعقلها الذي تلجأ إليه العباد، وربيعها الذي تحضب منه البلاد، سلفك خير سلف، وأنت من بعدهم خير خلف، فلن يحمل ذكر من أنت سلفه ولن يهلك من أنت خلفه. أيها الملك نحن أهل حرم الله وسكنة بيته، أشخصنا إليك الذي أهبنا من كشفك الكرب الذي فدحنا، فنحن وفد التهنته لا وفد المرزئة.

قال: فلما سمع سيف بن ذي يزن هذا الكلام من عبد المطلب بن هاشم أقبل عليه بوجهه، فقال له: أيهم أنت أيها المتكلم؟ قال: أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. قال: فقال سيف بن ذي يزن: ابن أختنا؟ قال: نعم. قال: فقال سيف بن ذي يزن: ادن إلي يا عبد المطلب بن هاشم. ثم أقبل عليهم جميعاً فقال لهم: مرحباً وأهلاً، وناقرة ورحلاً، ومستنخاً سهلاً، وملكاً رجلاً يعطي عطاءً جزلاً. قد سمع الملك مقالتيكم، وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم، فأنتم أهل الليل والنهار، ولكم الكرامة ما أقمتم، والحياء إذا ظعنتم. ثم انفضوا إلى دار الضيافة والوفود. قال: فأقاموا شهراً لا يصلون إليه، ولا يؤذن لهم بالانصراف. قال: وأجريت عليهم الأنزال. فلما كان بعد فراغ ذلك الشهر انتبه لهم سيف بن ذي يزن انتباهة، فأرسل على عبد المطلب بن هاشم فأدناه وأحلى مجلسه. ثم قال له: يا عبد المطلب، إني مفض إليك من سر علمي أثراً لو يكون غيرك لم أبح له به، ولكني وجدتك معدنه، فأطلعك عليه، فليكن ذلك عندك مطوياً حتى يأذن الله فيه، فإنه بالغ فيه أمره، فإني وجدت في الكتاب المكتوب والعلم المخزون الذي اخترناه لأنفسنا واحتجبتنا به دون غيرنا خيراً جسيماً وخطراً عظيماً، فيه شرف الحياة وفضل الممات، للناس عامة، ولرهطك كافة، ولك خاصة. فقال عبد المطلب: أيها الملك متلك سر وبر، فما هو فذاك أهل الوبر والمدر، زمراً بعد زمرة؟ قال: فقال سيف بن ذي يزن: إذا ولد بتهامة غلام به علامة، له الإمامة، ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة. قال: فقال عبد المطلب بن هاشم: أبيت اللعن لقد أبت بجبر ما آب به وفد قوم، ولولا هابة الملك وإعظامه وجلالته لسألته من إشارة إياي ما أزداد به شرفاً، فإن رأى الملك أن يجبرني بإفصاح فقد وضح لي بعض الإيضاح. قال: فقال سيف بن ذي يزن: هذا حينه الذي يولد فيه، أو قد ولد، اسمه محمد، بين كفيه شامة، يموت أبوه وأمه، ويكلفه جده وعمه، قد ولدناه مراراً، والله باعته جهاراً، وجاعل له منا أنصاراً، تعز لهم أنصاره، وتذل بهم أعداؤه، ويضرب بهم الناس عن عرض، وتستفتح بهم كرائم الأرض، يعبد الرحمن، ويزجر الشيطان، ويكسر الأوثان، ويحمد النيران، قوله فصل، وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهي

عن المنكر ويطله. قال: فخرَّ عبد المطلب ساجداً. فقال: له سيف بن ذي يزن: ارفع رأسك، فقد تلج صدرك وعلا كعبك، فهل أحسست من أمره شيئاً؟ قال: نعم أيها الملك، كان لي ولد، وكنت به معجباً جدلاً، وعليه رفيقاً، فزوجته كريمة من كرائم قومي، يقال لها آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، فجاءت بغلام سمّيته محمداً، مات أبوه وأمه، وكفلته أنا وعمه، بين كنفه شامة، وفيه كلُّ ما ذكرت من العلامة. قال: فقال سيف بن ذي يزن: والبيت ذي الحجب، والعلامات على النقب، إنك يا عبد المطلب لجدّه غير الكذب، وإن الذي قلت لك ما قلت فاحفظ بابك، واحذر عليه اليهود، فإنهم له عدو، ولن يجعل الله لهم عليه سيلاً. واطوا ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك، فإني لست آمن أن تدخلهم النفاسة من أن تكون لك الرئاسة، فيبغون لك الغوائل، وينصبون لك الحبال، وهو فاعلون ذلك وأبناؤهم، ولولا أن الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى أصير يثرب دار مملكتي، فإني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق أن مدينة يثرب استحكام أمره فيها، وأهل نصره وموضع قبره. ولولا أني أقيه الآفات وأبقي عليه العاهات لأوطأت أسنان العرب كعبه ولأعلنت على حدائة سنه ذكره، ولكني صارف ذلك إليك بغير تقصير بمن معك.

ثم أمر لكل رجل منهم مائة من الإبل وعشرة أعبد وعشر جوار وعشرة أرطال تبر وعشرة أرطال فضة وكرش مملوء عنبراً، وأمر لعبد المطلب بن هاشم بعشرة أضعاف ذلك. ثم قال له: اتني بخبره وما يكون من أمره بعد رأس الحول.

قال: فمات سيف بن ذي يزن قبل أن يحول الحول. فكان عبد المطلب يقول: يا أيها الناس، لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك، فإنه إلى نفاذ ولكن يغبطني بما يبقى لي ويعقبني من بعدي من شرفه وذكره وفخره. قال: فإذا قيل له ما ذلك؟ قال: ستبلغن ولو بعد حين.

وفي ذلك يقول أمية بن عبد شمس القرشي: " من الوافر "
جَلَبْنَا المدَحَ تحقبة المطايا ... إلى أكوارِ أجمالٍ ونوقِ

مُغْلَغَلَةً مَرَابِعُهَا تَقَالاً ... إلى صنعاء من فجٍّ عميقِ
تَوْمُ بنا ابن ذي يزنٍ وتفري ... ذوات بُطُونِهَا أُمَّ الطَّرِيقِ
وترعى في مخايله بُرُوقاً ... مُوافقةً الوميصِ إلى بُروقِ
فلَمَّا واقفتُ صنعاءً صارتُ ... بَدانِ المَلِكِ والحسبِ العريقِ

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن ذا أصبح، واسمه الحارث بن زيد بن سعد بن عدي بن ملك بن مسدد بن أسد بن حنظلة بن زرعة، وهو حمير الأصغر بن كعب بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس لما اجتمعت حمير وكهلان أمرها على طاعتها له واتباعها إياه وقبولها منه عند الأمر والنهي والسلام والحرب أقبل على بنيه، فقال لهم: يا بني، إن حمير وكهلان لم تجمع أمرها على طاعتها لي واتباعها إياي وقبولها مني على أني أشرفها منصباً، ولا أني أحق بالملك فيها دون غيري منها، ولكنها وزنت رجاها المعدودة، فألفتني أرجحها عند الأمر والنهي، فقلدتني أمرها، وآثرتني بالملك على

غيري منها. ثم أنشأ يقول: " من الرجز "
 بني ما إن جهلت حميرٌ ... والحي من كهلان ذا أصبح
 إذ قلدوني أمرهم واهتدوا ... في طاعتي بالطائر الأفلح
 حتى اصطبحنا بالخيل العدا ... في كل ما هصت وما أفح
 إننا لنا ملوك بني يعرب ... وزانه الإصلاح للمصلح
 أما تروني فانياً شاحباً ... أسمط مثل الوقع في صردح
 فقد حلبت الدهر أظطاره ... ولم أرد الطرف عن مطمح
 بني سيروا سيرتي إنها ... كما علمتم سيرة الأفلح
 واتخذوا الإحسان ما بينكم ... تجارة الرياح والريح
 بثوا عطاياكم وجودوا بما ... للأعجم الضاوي وللمفصح
 بما لكم يفتح باب العلا ... إذا العلا بالبأس لم يفتح
 وصيتكم فاغتموا نصح من ... عساه إن أمسى فلم يصبح

وصية كهلان بن سبأ

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن حمير وكهلان لما قسم بينهما أبوهما سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ملكه، فجعل سياسة الملك لحمير، وجعل أئنة الخيل وملك الأطراف والثغور لكهلان - وقد تقدم شرح خبرهما في أول كتابنا هذا - قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن حمير وكهلان لم يزالا على ذلك، وكذلك أولادهما وأولاد أولادهما، لحمير على كهلان الطاعة، ولكهلان على حمير المال والنجدة، والملوك الراتبة في دار المملكة من حمير، والملوك في الأطراف والثغور من كهلان. ويقال: إن كهلان لما تقلد الأطراف وثغورها وأعمالها واستقام أمره وأمر أخيه حمير على ذلك قال لأخيه حمير: إني قد عزمت على أن أبعث العساكر إلى الأطراف والثغور، فأمر بالمصالح لذلك. قال: فأمر حمير بالمال والخيل والإبل والطعام والروايا وتقدم إلى أهل المملكة أن يمتثلوا ما يومئ إليهم به كهلان. قال: فجرد كهلان إلى أرض الحجاز جرهماً ومن لف لفها، وولى عليهم رجالاً منهم يقال له هي بن بي بن جرهم بن سعد بن جرهم، وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا أمره، وقسم عليهم الخيل والعدد والسلاح والزاد والروايا وأعطاهم الأدلاء. وكتب هي بن بي بن جرهم إلى ساكن الحجاز من العمالقة بالسمع والطاعة له ودفع الإتاوة إليه.

وكان كتابه الذي كتب هي بن بي بن جرهم:

ألائك من كهلان عن أمر حمير ... لعامله هي بن بي بن جرهم
 إلى من بأعراض الحجاز محله ... من الناس طراً من فصيح وأعجم
 على أن هيأ ليس يعصى وإنه ... لديهم لذو أمن أثير مقدم
 وإلا فلا يلحون إلا نفوسهم ... إذا ما منونا بالقسطلان العرمرم

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن هي بن بي بن جرهم خرج إلى الحجاز فيمن معه من قومه وتباعهم، فأقام بها والياً عليها، وغلب العمالقة عليها، وكتب كتاب ولايته على جبل من جبال مكة، وهي هذه الأبيات:

ألائك من كهلان عن أمر حمير ... لعامله هي بن بي بن جرهم

ويقال: إن كهلان لما فرغ من تجهيز هي بن بي بن جرهم وتجريده للحجاز، جرد إلى أرض نجد رجلاً يقال له: الهميم بن عاصم بن جلهمة الجديسي في جديس ومن لحقها من التباع، وولاه عليهم، وأمره لهم بالسمع والطاعة، وكتب إلى سكان نجد كتاباً، وهو: باسمك اللهم:

من ابن سبأ كهلان عن أمر حمير ... إلى أهل نجد للهميم بن عاصم
على أنه من ليس يعصى وأنه ... يطاع ويعطى الخرج خرج السوائم
وإلا فلا يلحون إلا قُوسهم ... إذا ما مُنوا بالخيال تحت الصراغم

قال: فتجهز الهميم والياً على أهل نجد، وسار إليهم في جديس وتباعهم بالخيال والعدة من الروايا والأزواد وسارت الأدلاء بين يديه حتى توسط بلاد نجد وملكها، وأخذ الإتاوة من أهلها وأنفذها إلى كهلان. ثم إن كهلان دعا عمرو بن جحدر جد ثمود، ويقال: إنه جد صالح النبي صلى الله عليه وسلم، فجرده إلى الوادي، وهو فيما بين الشام والحجاز، وعقد له الولاية على ساكن الوادي، وأمر قومه ثموداً له بالطاعة والسمع والمسير بين يديه، وكتب له كتاباً إلى ساكن الوادي، وكان شاكته قوم زهرة لهم عملاق. وكان كتابه الذي كتبه لعمرو بن جحدر:

من ابن سبأ كهلان عن أمر حمير ... إلى ساكن الوادي لعمرو بن جحدر
على طاعة منهم لعمرو بن جحدر ... وللقيل كهلان وللملك حمير
ودفع الإتاوات التي يسألونها ... إلى عاملي من كل بدو ومُحضر
وإلا فلا يلحون إلا قُوسهم ... إذا زارهم بالبيض والسمر عسكري

قال: فتجهز عمرو بن جحدر والياً على ساكن الوادي، وسار إليهم في قومه وعشيرته ثمود بالخيال والإبل والعدة، ومضى قاصداً حتى أتى الوادي، فخرج سكان الوادي منه إلا من سمع له وأطاع منهم. ويقال: إن كهلان لما فرغ من تجهيز عمرو بن جحدر إلى الوادي الذي ذكر الله عز وجل في محكم كتابه: "وثمود الذين جابوا الصخر بالواد" أقبل على ابنه زيد بن كهلان، وقد مات أخوه حمير، وولي الملك من بعده ابنه الهميسع بن حمير فقال: بني، العم قد ولي، والأب على الأثر. ثم أنشأ يقول:

يا زيد إن أباك أصبح نسرهُ ... لا يستطيع إلى النهوض سبيلا
اليوم عمك خفّ عنا أفلا ... وغداً ستشهد من أيبك أفولا
يا زيد لا تعص الهميسع وانتظر ... ما عونه لك بكرة وأصيلا
يا زيد إن لك الحجاز ونجدها ... وإليك أصبح خرجها محمولا
وإليك يرفع عن ثمود وغيرها ... عمرو بن جحدر خرجها المسؤولا

وإليكِ عُدَّتْ بالهميمِ رواحِلٌ ... بالخُرَجِ تُعَلِنُ بالمسيِّرِ ذميلاً
كُنْ لِلْهِمِيسَعِ طَائِعاً كَيْمَا يَكُنْ ... لَكُمْ الْهِمِيسَعُ نَاصِراً وَكَفِيلاً
قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن زيد بن كهلان حفظ وصية أبيه، وثبت عليها، وعمل
بها، وتقلد للهميسع ما كان يتقلده كهلان لأخيه حمير.
ويقال: إن زيد بن كهلان أرسل إلى عمّال أبيه في الأطراف والنجور بتجديد العهد منه لهم، فسمعوا وأطاعوا
ودفعوا إليه الإتاوة التي كانوا يدفعونها إلى أبيه.
وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن زيد بن كهلان جرد ابنه عمرو بن زيد بن كهلان -
وهو أبو جذام - إلى مدين وما حولها في الخيل والرجال، وعقد له الولاية على مدين، وأمرهم له بالسمع
والطاعة ودفع الإتاوة إليه، وكتب كتاباً إلى أهل مدين يقول فيه:
لعمرو بن زيد من أبيه وعمّه ... ألوك إلى الأحياء من أهل مدين
بطاعتهم عمراً وتسليم خرجهم ... إليه جهاراً عن مسرٍّ ومعلنٍ
وإلا فإن الخيل تعبط مديناً ... وتسرح أحرأها بلحج وأين
قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن عمرو بن زيد بن كهلان سار إلى مدين بالخيال والرجال
والياً عليهم حتى نزل بها، وملكها، وأطاعه أهلها، وأخذ إتاوتها.
ويقال: إن شعيب النبي صلى الله عليه وسلم من نسله وذريته، وإنه جد بني جذام، ثم أحد بني وائل منها.
ويقال: إن زيد بن كهلان لما مات الهميسع بن حمير أقبل على ابنه مالك بن زيد بن كهلان وهو يقول: " من
الوافر "

أتى يومُ الهميسعِ فاحنواهُ ... وزيدٌ يومُهُ لا بُدَّ آتٍ
وَكُلُّ لا محالَةٌ مُستَقِلٌّ ... يُؤوِلُ مِنَ الحَيَاةِ إلى المماتِ
وَكُلُّ جماعَةٍ لا بُدَّ يوماً ... تصيرُ إلى التَّفَرُّقِ والشَّتاتِ
فمالكٌ سرٌّ لأيمنٍ في مسيري ... لوالدهِ إذا حانتَ وفاتي
أَطْعُهُ يُطِيعَكَ أَيْمَنُ مِثْلَ ما قَدْ ... أَطاعني الهميسعُ في هَناتِ
هُوَ المَلِكُ العَظِيمُ وَأنتَ فاعِلَمُ ... على أعمالِهِ وعلى الوُلاةِ
إليكِ إتاوةُ الأطرافِ تُجبي ... وتأمُرُ في الجُيُوشِ المُعلَماتِ
فيقال: إن مالك بن زيد بن كهلان حفظ وصية أبيه، وثبت عليها، وعمل بها، وولي بعد أبيه ما كان يتولاه
أبوه زيد بن كهلان من النجور والأطراف وتدبير العساكر في طاعة الملك أيمن بن الهميسع. وكتب إلى عمال
أبيه، فأجابوه بالسمع والطاعة ودفع الإتاوة إلى ما قبله.

وصية زيد بن كهلان

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن مالك بن زيد بن كهلان جرد ابنه ربيعة بن مالك - وهو جد همدان - في الخيل والرجال والعدد، وعقد له الولاية على من معه، وكتب له كتاباً إلى ساكن الأجواف أهل سهولها وجبالها، وهم بقية عاد الصغرى التي تعرف إلى اليوم قبورهم وآثارهم في الجبال والسهول بها. وكان كتابه لربيعة بن مالك: باسمك اللهم،

إلى ساكنِ الأجوافِ من أيمنِ العُلا ... ومنَ مالكِ القليلِ بنِ زيدِ بنِ كهلانِ
رَبِيعَةُ لا يُعصَى لَدَيْهِمْ وَيَتَّقَى ... رَبِيعَةُ ما غالى بِهِ الملوآنِ
وَيُجىءُ إِلَيْهِ الخُرُجُ عِنْدَ وُجُوبِهِ ... على طاعةٍ تُرضِيهِ مِنْهُمْ وإِذعانِ
وإِلا فلا يلحونَ إِلا نُفُوسَهُمْ ... إذا داسَتْهُمُ رجلي هُنَاكَ وفُرساني

قال: فلما فرغ من تجهيز ولده الربيعة بن مالك جرد ابنه أدد بن مالك إلى الأعراض والأسواد من نجران وتثليث والشروم وبيشة والحنو وما حولها من البلاد المسكونة في الخيل والعدد. وكتب له إلى ساكنها، وهم بقايا إرم بن حام بن نوح النبي صلى الله عليه وسلم، آثارهم بما إلى اليوم، وقبورهم تعرف بالإرميات، وذلك أنها مبنية على هيئة الآكام والقنان. وكان كتابه الذي كتب لأدد إليهم حيث يقول: " من الرمل "

باسمِكَ اللَّهُمَّ مِنْ أَيْمَنِها بنِ ... مالِكِ الخَيْلِ إلى الحَيِّ إِرْمِ
لِساكنِ الأَسوادِ والأَعراضِ مِنْ ... بطنِ نِجرانِ إلى ما حَيْثُ هُمْ
أَنْ يُطِيعُوا أَدداً بَيْنَهُمْ ... ما نَهَارَ لَاحَ أو لَيْلَ هَجَمَ
وَيُوفُوا أَدداً مَسْأَلَةً ... مِنْ ثِمَارِ النَّخْلِ والخُورِ النَّعَمِ
أو فلا يلحونَ يوماً غَيْرَهُمْ ... إِنْ عَلاهُمُ قَسْطانُ مُدْلَهُمُ

قال: فسار أدد بن مالك بن زيد بن كهلان حتى نزل فيما بينهم والياً عليهم، فسمعوا له وأطاعوا، ودفعوا إليه إتاوتهم، وهو أبو مذحج.

ثم إن مالك بن زيد بن كهلان توفي، وولي ابنه نبت بن مالك ما كان يتولاه أبوه مالك بن زيد بن كهلان في طاعة الملك أيمن بن الهميسع بن حمير.

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن أيمن بن الهميسع رثي مالكا بهذه الأبيات، وأنشأ يقول:

تَوَلَّيتَ عَنِّي مالِكَ غَيْرَ قافلِ ... وإِنِّي غَدًا لا شَكَّ نَحوِكَ قافلُ
أو اِخْرُنا لا شَكَّ أَنْ مَصرَهُمْ ... مَصرٌ إِلَيْهِ صَارَ مِنَّا الأوائِلُ
كَذلكُمُ تِلْكَ النُّجُومُ إذا بَدَتْ ... طَوالِ عَهْنِ التَّالِياتِ الأوائِلُ
فَلَو كانَ يَجدي اليَوْمَ شَيْئاً بُكاؤُنا ... لما رَقَّاتِ مِنَّا اللُّمُوعُ الهوامِلُ
سَيُخَلِّفُكَ المأمُولُ نَبْتٌ وإِنَّه ... لما قَد كُنْتَ تَحْمِلُ حامِلُ
شِمالُهُ الحُسنَى شِمالُكَ الَّتِي ... إذا ذُكِرَتْ لَمْ تَعلُهنَّ شِمالُ

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن نبت بن مالك جرد ابنه ثور بن نبت - وهو أبو كندة - إلى الأحقاف بالخييل والرجال، وعقد له الولاية على من بالأحقاف من سائر ولد هود النبي صلى الله عليه

وسلم وعشيرته، وأمرهم بالسمع والطاعة له، وكتب إليهم كتاباً يقول فيه:
إلى ساكني الأحقاف من أيمن الغلا ... لثور بن نبت عن أبيه ابن مالك

على أن ثوراً لا يخالف ما دَهَتْ ... بظلمائها ذات النجوم الشوابك
وأن الإتاوات التي يسألونها ... تُوفى إلى ثور بن نبت بن مالك
وإلا فلا يلحون إلا فُوسهم ... إذا رُميت هَامَاتُهُم بالسنايك

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن ثور بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان خرج إلى
الأحقاف، وملكها، وأخذ الإتاوة من أهلها، وكتب كتاب ولايته على جبل من جبالها. فيقال: إن ذلك
الكتاب إلى اليوم بين ظاهر، يقرؤه من يجيد كتابة الأوائل. ويقال: إن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان لما
توفي أيمن بن الهميسع وولي الأمر بعده ابنه زهير بن أيمن أقبل على ابنه الغوث بن نبت بن مالك، وكان
كاملاً في كل أحواله من الشجاعة والفطنة والرأي الثاقب، فقال وهو يرثي أيمن بن الهميسع:

قضى نحبهُ بعد الهميسع أيمن ... وأيمن فاعلم خير حيٍّ وهالك
وكلُّ امرئٍ لا شكَّ يُقضى قضاؤه ... ويُسقى بكأس النازل المتدارك
فشبه بني الدنيا إذا ما جهلتهم ... كنتك النجوم التاليات الشوابك
فمن بين بادٍ لاحٍ عند طلوعه ... ومن آفلٍ دانٍ وهاوٍ وسامك
وكلُّ له نورٌ على قدر ذاته ... وسلطانُه عند اختلاف المسالك
فيا غوث لا تنس الوصايا التي بها ... خصصتك يا غوث بن نبت بن مالك
تطيع زهيراً مثل ما كنت لم أزل ... أطيع أباه أيمن بن الملايك
أطعت ووافيت الإتاوة جهرة ... معكمة فوق المطي الرواتك
بني عرفت الرشد فاتبع ضياءه ... مدى الدهر واسلك في الأمور مسالكي

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن الغوث بن نبت بن مالك حفظ وصية أبيه، وعمل بها
وثبت عليها. ويقال: إنه كتب إلى عمال أبيه في الأطراف والغور في طاعة زهير بن أيمن بن الهميسع بن
حمير، فسمعوا له وأطاعوا، وحملوا إليه الإتاوة.

ويقال إن الغوث بن نبت بن مالك جرّد ابنه الأزد بن الغوث إلى مأرب في الخيل والعدد، وعقد له الولاية
على ساكني أرض مأرب، وأمرهم بالسمع والطاعة له. وكتب للأزد إليهم هذه الأبيات:

من الغوث عن أمر المليك زهيرها ... إلى مأرب بالأمر والتّهي للأزد
على أن بعد الغوث للأزد أمره ... وتجبى له الأطراف في القرب والبعد
ولا تتعدى طاعة الأزد مأرب ... مدى الدهر ما وهم براكبه يجدي
وإلا فلا يلحون إلا فُوسهم ... إذا ما مُنوا بالزراعية والجرد

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن مأرب سمعت للأزد وأطاعت. ومأرب اسم قبيلة من
قبائل عاد الصغرى. ويقال: إن الأزد تولى بعد أبيه الغوث جميع ما كان يتولاه زهير بن أيمن بن الهميسع بن

حمير، وكذلك لابنه عريب بن زهير حين ولي الملك بعد أبيه زهير بن أيمن بن الهميسع.
ويقال: إن الأزد لم يزل والياً للأطراف والتغور للملك عريب بن زهير، تسمع له العمال، وترفع إليه ما
يجب عليها لبيت مال الملك. وكان كلما مات في الأطراف والتغور عامل من عمالها تقلد عمله الأرشد من
ولده أو من إخوته أو من بني عمه، يرفع الإتاوة ويسمع ويطيع، ويحيي رسم من مضى قبله في طاعة من
تقلد الملك من حمير وطاعة من تقلد الأطراف والتغور من كهلان.
ويقال: إن مازن بن الأزد بن الغوث ولي بعد أبيه الأزد بن الغوث الأطراف والتغور للملك عريب بن زهير
بن أيمن، وكذلك لابنه قطن بن عريب حين صار الملك إلى قطن بن عريب بعد أبيه.

ويقال: إن مازن بن الأزد رثي عريب بن زهير حين توفي في شعره الذي يقول فيه: " من البسيط "
أَمَسَى عَرِيبٌ عَنِ الْمَلِكِ اللَّقَاحِ وَعَنْ ... رَعِيَّةِ الْمَلِكِ تَحْتَ التُّرْبِ مَرْمُوسَا
وَكَانَ فِيمَا مَضَى الْمَلِكُ اللَّقَاحُ بِهِ ... مَسْتَوِسِقُ الْعِزِّ فِي الْآفَاقِ مَأْنُوسَا
لَوْلَا أَبُو وَاتِلِ خَيْرِ الْوَرَى قَطْنٌ ... لِأَصْبَحَ الْمَلِكُ مِيَادًا وَمَنْكُوسَا
بِهِ اسْتِقَامَتَ لَنَا الدُّنْيَا وَأَسْعَدَ مِنْ ... بِالْأَمْسِ بَعْدَ عَرِيبٍ كَانَ مَنْحُوسَا

وحلثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن مازن بن الأزد جرد أخاه نصر بن الأزد إلى الشحر
في الخيل والعدد، وكتب له إليهم كتاباً يقول فيه: " من البسيط "
مِنْ مَازَنِ مُهْرَقٍ فِيهِ الْأَلُوكُ إِلَى ... مِنْ حَلِّ الشَّحْرِ مِنْ عُجْمٍ وَمَنْ عَرَبِ
أَنْ اسْمَعُوا وَادْفَعُوا الْخَرَجَ الْوَفِي إِلَى ... نَصْرٍ وَدِينُوا وَلَا تَعْصُوهُ فِي سَبَبِ
يَوْمًا وَإِلَّا فُلُومُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ ... إِذَا مُنِيتُمْ لَنَا بِالْجَحْفَلِ اللَّجْبِ
قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن نصر بن الأزد سار إلى الشحر حتى نزل بها، وسمع له
من بالشحر وأطاع، ودفعوا إليه الإتاوة. ويقال: إن الجلندي بن كركر بن المستكبر بن مسعود الذي كان
يأخذ كل سفينة غصباً من بني نصر بن الأزد، وذلك الملك ثابت إلى اليوم في آل الجلندي بن كركر، يجي
إليهم في دار مملكتهم ما كان يجي إلى الجلندي من البر والبحر.

وآل الجلندي هم الذين يقول فيهم الشاعر: " من الخفيف "
إِنَّ خَيْرَ الْمُلُوكِ آلَ الْجُلُنْدِيِّ ... عَشِيرًا وَمَحْتَدًا وَجُدُودًا
مَلَكَوْا الْبَحْرَ بَعْدَمَا مَلَكَوْا الْبِرَّ ... إِلَى الْيَوْمِ ... وَسَجُودًا
وترى الكردي الجموع وفي السيف ... لها اليوم سؤقاً وعبيدا
تلك أبناؤهم تحن لها الفر ... س وسادوا الملوك نبلاً وجودا
غلبوا الناس بالمكارم والفض ... ل وعند اللقاء فأقوا الأسودا

وصية مازن بن الأزد

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن مازن بن الأزد وصى ابنه ثعلبة بن مازن، فقال:

أوصيك ثعلبة بن مازن ما به ... وصاني الأزد الهمام الأوحداً

أوصاني الأزد الأغر بطاعتي ... ملوك حمير ما استنار الفرقداً

في ملكهم لك نصف ما يحورنه ... من فيهم وخراجهم أو أزيد

إن المتوج بالعلاقطن الذي ... لك كاهل فاعلم وأنت له يد

فأطعه ثعلب كي تدوم مع العلاء ... لك بعدي العز اللقاح الأتلد

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن ثعلبة بن مازن بن الأزد حفظ وصيته أبيه، وثبت عليها،

وعمل بها بعد وفاة أبيه، وسمع وأطاع الملك قطن بن عريب، وتقلد له الأعمال التي كان يتقلدها أبوه مازن

بن الأزد، وكتب إلى عماله في النغور والأطراف، فسمعوا له وأطاعوا، ودفعوا إليه الإتاوة التي كانوا

يدفعونها إلى أبيه.

ويقال: إن ثعلبة بن مازن بن الأزد جرّد أحمس بن عوف بن أثمار بن دارس بن عمرو بن الغوث بن نبت بن

مالك بن زيد بن كهلان إلى الطود، وهي البلاد التي يقال لها السراة، وهي فيما بين الطائف وجرش، جرده

إليها في قومه بني أثمار بن دارس بن عمرو بن الغوث وفيمن ضمهم إليه من سائر حمير وكهلان.

قال: وسألت أبا علي الهجري عمن خرج مع أحمس بن عوف بن أثمار من قومه بني أثمار، فقال: خرج معه

بنو بجيلة بن أثمار وبنو أقييل بن أثمار، وهم من بني عوف بن أثمار، فسألته عن أقييل، فقال: منهم شهران

وكرد وناهس والأوس وأس، فسألته عن ولد أحمس فقال: من ولده بنو أميينه بن معاوية بن أسلم بن أحمس

بن عوف بن أثمار. وهذه القبائل تعرف بجنتم وبجيلة وأسد بن الحميس القحافي، وقحافة بطن من شهران: "

من البسيط "

نحن الذين ورثنا العز عن إرم ... أيام أحمس وافاها بأثمار

أيام حمير تعلو نار عزهما ... ما أوقد الناس في الآفاق من نار

أيام كهلان قومي صاربون لهم ... ما ضمت الأرض من بدو وأمصار

تجى إليهم إتاوات البلاد ولا ... يعصيه من مقيم لا ولا سار

وتلك آثار آبائي بمأرب لا ... يفوقها اليوم من رسم وآثار

ويقال: إن ثعلبة بن مازن بن الأزد لم يزل للملك قطن بن عريب على ما كان عليه أبوه مازن بن الأزد

لقطن بن عريب بن زهير، وكذلك لابنه الغوث بن قطن بن عريب.

وصية ثعلبة بن مازن

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن ثعلبة بن مازن وصى ابنه امرأ القيس بن ثعلبة بن

مازن بن الأزد. ثم أنشأ يقول: " من البسيط "

هل امرؤ القيس لا ينسى الوصاة لما ... يسري بما نهج آبائي وأجدادي

إن امرأ القيس من ما زلت أمله ... للملك بعدي من نسلي وأولادي
يطيع للغوث لا يعصيه في أمل ... يرشده ذلك في ذنياه إرشادي
له البلاد ومن فيهن قاطبة ... من معشر حاضر أو معشر باد
والغوث بيت سمالك الملك يرفعه ... وكل بيت بمسماك وأوتاد
قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن امرأ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد حفظ وصية أبيه
في طاعة الملك الغوث بن قطن بن عريب.

ويقال: إن امرأ القيس ولي الثغور والأطراف لأربعة من ملوك حمير، للغوث بن قطن، ولوائل بن الغوث،
ولعبد شمس بن وائل، ولجشم بن عبد شمس.
ويقال إنه قلد ابنه حارثة الأحساب بن امرئ القيس الثغور والأطراف التي كان يقلدها في طاعة الملوك من
حمير. وكتب له كتاباً يقول فيه: " من الرجز "

من امرئ القيس أولك لابنه ... حارثة الأحساب عن امرئ جشم
إلى جميع الناس بالطاعة في ... آفاقها من عرب ومن عجم
وأن يجيئوا الخرج محمولاً إلى ... حارثة الأحساب عمال الأمم
أو لا يلام جشم إن أعرضوا ... أو أتت الخيل إليهم للنقم
فيقال: إن حارثة بن امرئ القيس ولي الأطراف والثغور في حياة أبيه وبعد وفاته في طاعة الملك جشم بن
عبد شمس وفي طاعة الملك عمرو بن عبد شمس وفي طاعة الملك الفظاظ بن عمرو بن عبد شمس.
ويقال: إن حارثة بن امرئ القيس عمر ثلاثمائة سنة ونيفاً وثمانين سنة.

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد
وصى ابنه عامر بن حارثة فقال: " من البسيط "

يا عامر الخير إنني قد وهى بصري ... ورأيتني ما يريب المسترينا
ورأيتني ما يريب ابن الثلاثة من ... عد المئات الخوالي والثمانينا
قُلتُ أعمال أسلافي وقُلدها ... قبلي أبي للهاميم الأغرنا
فأثبت على كل ما أوصي إليك وما ... قد كان قدماً به الآباء يوصونا
لا تعد عن طاعة الفظاظ إنك ما ... لم تعصه لم تخف ...
لم يعص أبائنا أبائهم ولقد ... كانوا لآبائنا قدماً مطيعينا
إننا نجيب بني أعمامنا وهم ... إذا دعوناهم يوماً يجيئونا
نُعزهم فيعزونا وننصرهم ... فينصرونا ونكفيهم فيكفونا
نسعى لهم بين أيديهم إذا نهضوا ... وإن نهضنا يَكُونُوا بين أيدينا
إذا مضى سيدنا يوماً لنا ... مقامه سيداً لم نَعُدْهُ فينا
يحكي أواخر أقوامي أوائلهم ... وإن من بعدنا من سيحكينا
يا عامر الخير لا تنسى الوصاة وكن ... بعدي لقومك من خير الموصينا

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن عامر بن حارثة بن امرئ القيس حفظ وصية أبيه، وثبت عليها، وعمل بما فيما بينه وبين قومه، وتولى ما كان يتولاه أبوه من الأطراف والتغور للفظاظ بن عمرو، ولمن قبله من ملوك حمير.

ويقال: إن عامر بن حارثة بن امرئ القيس، هو الذي تسميه العرب ماء السماء، وهو الذي افتخر به أحد الأنصار في قوله حيث يقول: " من الوافر "

أنا ابن مزيقيا عمرو وجدّي ... أبوه عامر ماء السماء
ثماني الفيض ثعلبة المرجي ... وقيلة تلك سيّدة النساء

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد جرد إلى الشام بأمر الملك القظاظ بن عمرو، وولى عليهم زيد بن عمرو بن الحاف بن قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير، وعقد له الولاية وأمرهم بالسمع والطاعة له. وزيد هذا هو أبو عذرة وأبو جهينة ونهد ويحمد والحميس وشحمة وأخوه بلي ويهوى أبناء عمرو بن الحارث.

ويقال: إن ماء السماء كتب لزيد بن عمرو إلى أهل الشام كتاباً. وكان كتابه:

لزيد إلى من حلّ بالشام حُجَّةً ... من الملك القظاظ والقيل عامر

علي أن زيداً ليس يعصى وينتهي ... إلى أمر زيد كل بادٍ وحاضر
ويعطونه الخرج الذي يسألونه ... وفاء ولا يلقونه بالمعادر
وإلا فلا يلحون إلا نفوسهم ... إذا ما منوا بالساجات الصوامر

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن زيداً لما خرج بأحياء قضاة إلى الشام والياً عليها، وصار إلى الحجاز وقع بينه وبين عشيرته كلام وحماشات ومحاسد ففترقوا عنه، فمنهم من رجع إلى اليمن، ونسله إلى اليوم بها، وهم خولان بن عمرو بن الحاف بن جلوان بن عمرو بن الحاف بن قضاة. ومنهم من نزل بالحجاز ونسله إلى اليوم بها، وهم بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة. وأما نسل زيد بالحجاز فجهينة بن زيد، وحميس بن زيد، وعذرة بن زيد. وأما من مضى من قضاة إلى الشام فنسله إلى اليوم بها وهم عاملة بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن قضاة وإخوتهم بنو وبرة. وأكثر وبرة بالشام عدداً وأشدّهم بأساً وعضداً ونجدة وعزاً بنو كلب بن وبرة. منهم حباب، ومنهم العمائر، ومنهم عدي وعليم وأوس الله ويتم الله وسعد الله ويسع الله ووهب الله وزيد الله. فهؤلاء بنو ربيعة بن ثور بن كلب. ومنهم تنوخ، ومنهم العاص، ومنهم كنانة الكبرى. فهؤلاء حماة الشام ومدائنهم. وأنشد أحدهم شعراً يقول فيه:

نحن اللبث إذا حمسنا في الوغى ... والحلم شيمتنا إذا لم نحس
نحن الصخور فمن يحاول عضها ... تغل نواجذ الصخور ويضرس
نحن البخور فمن يخض أمواجها ... تعطف عليه يميها المعانطس
علم القبائل من نزار كلها ... ما ضربنا وطعنا بتلمس
أعداؤنا لم يسلموا وحرمتنا ... لم يستبح وراثتنا لم يغمس

فأبا عُثَيْمٍ إِنَّنِي لَكَ نَاصِحٌ ... فَأَجَلْنَا وَبَغَيْرِنَا فَتَمَرَّسٍ
 واجعل هِجَاءَكَ فِي نَامِ مُحَارِبٍ ... أَوْ فِي بَنِي عَجَلَانَ أَوْ فِي فَقْعَسٍ
 أَنْحُوْطُ مِنَّا هَاشِمًا لُتْجِيرَهَا ... هَذَا لَعَمْرُكَ أَنْكَسُ الْمُنْتَكِسِ
 وَقُضَاعَةُ الرَّأْسِ الرَّئِيسُ وَأَنْتُمْ ... ذَنْبٌ لَعَمْرُ أَبِيكَ غَيْرُ مَرَأْسٍ
 وَهُمْ الْجِبَالُ الرَّأْسِيَّاتُ وَأَنْتُمْ ... يَبِضُّ مَتَى يُقْرَعُ بِهِ يَنْتَفِسُ
 ويقال: إن ماء السماء بن حارثة بن امرئ القيس عمر ثلاثمئة سنة ونيفاً وستين سنة، وولي الأطراف والثغور
 لأربعة من ملوك حمير، للفظاظ بن عمرو، وليشد بن الفظاظ، ولأبرهة بن يشدد، ولأفريقيس بن أبرهة.

وصية ماء السماء

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن ماء السماء وصّى ابنه المزيقياء بن ماء السماء، وهو
 عمرو بن عامر فقال:

يَا عَمْرُو إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ وَرَأَيْتِي ... عَيْشًا لَهُ فِي النَّاقِلِينَ دَيْبُ
 أَبْلِيَتْ عُمْرِي فِي ثَلَاثِ عَمَائِمٍ ... مَنَشُورَةً أَلْوَانُهُنَّ ضَرُوبُ
 يَقِقُّ وَسَحَقٌ كَالسَّبِيلِ وَحَالِكٌ ... مِثْلُ الدُّجْنَةِ حَنْدِسٌ غَرِيبُ
 مَرَّتْ بِي الْمِئْتَانِ وَالْمِئْتَةُ الَّتِي ... جَلَى عَلَيْهَا عُمْرِي الْمَحْسُوبُ
 يَا عَمْرُو أَنْتَ خَلِيفَتِي فَاعْمَلْ بِمَا ... قَدْ كُنْتُ أَعْمَلُ فَالرَّشِيدُ قَرِيبُ
 أَطْعِ الْمُلُوكَ وَلَا تَرْغُ عَنْ أَمْرِهِمْ ... مَا اخْضَرَ فِي قَنْ الأَرَاكِ قَضِيبُ
 وَإِذَا دَعَوْكَ أَجِبْهُمْ وَاسْمَعْ لَهُمْ ... كَيْ يَسْمَعُوا لَكَ دَاعِيًا وَيُجِيبُوا

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن المزيقياء بن ماء السماء حفظ وصية أبيه، وثبت عليها،
 وعمل بها، وولي بعد أبيه ما كان يتولاه ماء السماء للملوك من قبله من أعمال الأطراف والثغور، فكتب
 إلى العمال في كل بلد، فسمعوا له، وأطاعوا، ورفعوا إليه الإتاوات التي كانوا يرفعونها إلى أبيه.

ويقال: إن عمرو بن عامر كان أيسر رجل في زمانه وأكثرهم مالاً وعدداً وعدداً ومواشي وضياعاً، وكان له
 ثلثا جتي مآرب. ويقال: إنه عُمر عمراً طويلاً، ورزق جماعة من الأولاد، وعاش حتى رأى من نسله وبنيه
 وبنو بنيه سبعة آباء. ويقال: إنه تولى الأعمال والأطراف والثغور لأربعة من ملوك حمير، لعمرو بن أبرهة،
 ولشرحبيل بن عمرو، وللهدهاد بن شرحبيل مظاهر الجن، وهو أبو بلقيس صاحبة العرش التي زوجها الله
 من سليمان بن داود النبي صلى الله عليه وسلم.

ويقال: إن أم بلقيس بنت الهدهاد امرأة من الجن، كان سبب تزويجها للهدهاد بن شرحبيل أنه خرج للصيد
 في جماعة من خدمه وخاصته، فرأى غزالة يطردّها ذئب وقد أضافها إلى مضيق ليس للغزالة منه مخلص،
 فحمل الهدهاد بن شرحبيل على الذئب حتى طرده عن الغزالة، وخلصها منه، وانفرد يتبعها، لينظر أين
 تنتهي ما به. قال: فسار في أثر الغزالة، وانقطع عنه أصحابه، فبينما هو كذلك إذ ظهرت مدينة عظيمة،

فيها من كل شيء دعاه الله باسمه من الشاء والنعم والنخل والزرع وأنواع الفواكه. قال: فوقف الهدهاد بن شرحبيل دون تلك المدينة متعجباً مما ظهر له، إذ أقبل عليه رجل من أهل تلك المدينة التي ظهرت له يسلم عليه، ورحب به وحياه. ثم قال له: أيها الملك إني أراك متعجباً مما ظهر لك في يومك هذا. قال: فقال الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن يشلد بن القظاظ بن عمرو بن عبد شمس: إني لكما ذكرت، فما هذه المدينة؟ ومن ساكنها؟ قال له: هذه مأرب، سميت باسم بلد قومك، وهي مدينة عرم، حي من الجن، وهم سكانها، وأنا اليلب بن صعب ملكهم وصاحب أمرهم، وأنت الهدهاد بن شرحبيل ملك قومك وسيدهم وصاحب أمرهم. قال: فبينما هو معه في هذا الكلام إذ مرت بهما امرأة لم ير الراؤون أحسن منها وجهاً، ولا أكمل منها خلقاً، ولا أظهر منها صباحة، ولا أطيب منها رائحة. قال: فافتتن بها الهدهاد بن شرحبيل، وعلم ملك الجن أنه قد هويها وشغف بها. فقال له: يا بن شرحبيل، إن كنت قد هويتها فهي ابنتي وأنا أزوجكها. قال: فجزاه الهدهاد بن شرحبيل خيراً على كلامه، وقال له: من لي بذلك؟ فقال اليلب: أنا لك بما عرضت عليك من تروحي إياها منك، وجمعي بينكما على أسر الأحوال وأيمنها، فهل عرفتها؟ فقال له الهدهاد: ما عرفتها قبل يومي هذا، فقال اليلب للهدهاد: هي الغزالة التي خلصتها من الذئب، ولأكافئك على جميع فعالك أبداً بأحسن من محواتها، فتأهب لدخولك عليها، فقد زوجتك إياها بشهادة الله وشهادة ملائكته، فإذا أردت ذلك فقدم إلينا بخاصتك من قومك وأهل بيتك وملوك قومك ليشهدوا ملائكتك ويحضروا وليمتها، وميعادك الشهر الداخل. قال: فانصرف الهدهاد بن شرحبيل على الميعاد، وغابت المدينة عنه، فإذا هو بأصحابه حوله يدورون. فقالوا له: أين كنت؟ فحنن في طلبك مذ فارقتنا، ولم نترك شيئاً من هذه الفلوات إلا وقد قلبناه عليك وطلبناك فيه. فقال لهم: لم أبعده ولم أعب وأقبل يسير وهو يقول: " من البسيط "

عجائبُ الدهرِ لا تَهْنِي أوابدُها ... والمرءُ ما عَشَا لا يَجْلُو مِنَ العَجَبِ
ما كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الأَرْضَ يَعْمُرُها ... غيرُ الأعاجِمِ في الآفاقِ والعَرَبِ
وَكُنْتُ أُخْبِرُ بِالجنِّ الخُفَاةِ فلا ... أرُدُّ أخبارَها إلا إلى الكَذِبِ
حَتَّى رأيتُ أقاصيراً مُشِيدَةً ... للجنِّ مخفوفةِ الأبوابِ والحُجُبِ
يُخْفِئُها الزَّرْعُ والماءُ المَعِينُ بها ... معَ المواقيرِ مِنْ نخلٍ وَمِنْ عَنبِ
ما بينها الخيلُ مِنْ طَرَفٍ وَمِنْ تَلدٍ ... والخُورُ فيها مِنَ الأنعامِ والكَسَبِ
وَكُلُّ بيضاءَ تحكي الشمسَ ضاحيةً ... هيفاءَ لَفَاءَ من موصوفةِ العَرَبِ
مضى جمادُ ويأتي بعده رجبٌ ... وسوف أُسْرِي على الميعادِ في رَجَبِ
حَتَّى أوافي خَيْرَ الجنِّ مِنْ عَرَمٍ ... ذاكِ ابنُ صَعْبٍ هُوَ المَعروفُ باليَلْبِ
أبغِي لَدِيهِ الَّذِي أرجوهُ مِنْ سَببٍ ... مِنَ التَّواصلِ والإصهارِ والنَّسَبِ

ويقال: إن الهدهاد بن شرحبيل خرج على الميعاد إلى أصهاره الجن في خاصة قومه وخدمه حتى وافاهم، فوجد قصرًا بناه له الجن في فلاة من الأرض، تحفه النخل والأعناب وألوان الزروع وأنواع الفواكه، تجري

فيه الأثمار الجارية. قال: فتعجب القوم من ذلك تعجباً شديداً، ورأوا ملكاً عظيماً، فنزلوا في القصر معه على فرش لم يروا مثلها، وقربت لهم موائد، عليها من طيبات المأكول وألوانها التي لم يأكلوا قط أطيب منها طعاماً ولا أذكى رائحة، وسقوا من الشراب ما لم يشربوا قط أهضم منه ولا ألد ولا أمراً ولا أخف منه. فمكثوا معه ثلاثة أيام بلياليها في ذلك. ورفعت إلى الهدهاد بن شرحبيل امرأته الحرور بنة اليلب بن صعّب العمري ملك الجن. قال: وأذن الهدهاد لبني عمه وخاصة عشيرته بالانصراف إلى مواضعهم، وصار ذلك القصر دار مملكته.

ويقال إنه مكث زماناً طويلاً مع الحرور بنة اليلب بن صعّب، وولد منها بلقيس بنة الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن يشدد بن القظاظ بن عمرو بن عبد شمس. قال: فلما ترعرعت بلقيس توفي أبوها الهدهاد، ولم تعش بعده أمها الحرور بنة اليلب إلا قليلاً، وبقيت بلقيس بنة الهدهاد بن شرحبيل مع أخواتها العمريين من الجن.

ويقال إن ابن عم أبيها جلس بعد الهدهاد في الملك وهو شمر يرعش، فسمع له والناس وأطاعوا، ثم إنه أرسل إلى بلقيس يخطبها، فأجابته إلى ذلك على أنه لا يخالفها في شيء تريده وفي شيء تكرهه، فضمن لها ذلك وتزوجها. فيقال: إنها لم تزل تبث المواهب والإحسان في الناس حتى استمالتهم إلى طاعتها.

ويقال: إن شمر يرعش لم يمت حتى أعطها خاتم الملك لما رأى من كفايتها ورعايتها للملك وحفظها وحياطتها وحسن قيامها به، فكان لا ينهي ويأمر غيرها على الرسم الذي قد جرى لها. ويقال: إنه مات وما درى أحد بموته إلا في أيام سليمان بن داود النبي صلى الله عليه وسلم حين رفعها الله زمن سليمان بن داود صلى الله عليه وسلم ونقلها إليه. فلما توفي سليمان بن داود صلى الله عليه وسلم انتقل الملك عن رهط بلقيس بنة الهدهاد بن شرحبيل إلى زرعة بن كعب، وهو حمير الأصغر، أخوه عبد شمس، وهو سبأ الأصغر، وهما ابنا كعب بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث.

وحديثي علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن عمرو بن عامر عند ذلك أخبره كاهن بخراب السد وخراب مأرب، وحذره ذلك، وقال له: احتل في تخلك من ضررها فإنك في أوان ذهاب الجنيتين وخراب السد.

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن عمرو بن عامر أولم وليمة، جمع فيها أهل بيته ووجوه عشيرته، وقد تقدم إلى ابنه ثعلبة بن عمرو، فقال له: يا بني، قد علمت ما أشرفنا عليه من خراب هذا السد وذهاب هاتين الجنيتين. وقد عزم على بيع الذي لنا فيهما، وليس أحد يشتريه مني إلا بجيلة أحتالها. واعلم أي شأخاشك بالكلام بحضرة وجوه العشيرة من حمير وكهلان، فكلما كلمتك بكلمة شكعة فاردد علي بمثلها أو بأشكع منها وإذا رأيتني رفعت يدي لأضربك بها فارفع يدك علي، تري الناس أنك أردت ضربي بها، حتى أحلف على بيع جميع ملكي في مأرب وخروجي منها، أري الناس أي أريد لك إضرارك.

قال: فلما اجتمع الناس عنده لوليمته تلك من حمير وكهلان، وفرغوا من الطعام، وغسلوا أيديهم، وقرب لهم الشراب، أقبل عمرو بن عامر على ابنه ثعلبة بن عمرو فكلمه بكلام حوش، قال: فرد عليه ثعلبة بن

عمرو كلاماً مثل كلامه أو أشد، قال: فرفع عمرو بن عامر يده على ابنه ثعلبة ليلطمه، قال فرفع عمرو بن ثعلبة يده، وقال له: وإيم الله لأن لطمتي لألطمك. قال: فعند ذلك آلى يمينا لا كفارة لها على بيع جمع ما يملكه في أرض مأرب من الجنتين وغيرهما وخروجه منها. ونادى هل من مشتر؟ قال: فلما رأى الناس أنه قد جد في البيع أقبلوا إليه، وقالوا له: أتأذن لنا أن نساومك في أموالك هذه؟ قال: فقال لهم: قد أذنت لكم، فساوموا. قال: فقالوا له: نأخذ منك نصف الذي لك بمائة حمل من كل شيء من المال الحسن. قال: فقال لهم: هم لكم بما طلبتم. قال: فدفعوا إليه مائة حمل من كل حسن قد سموه؛ وهو عشرون حملاً من التبر، وعشرون حملاً من الفضة، وعشرون حملاً من عصب اليمين، وعشرون حملاً من طرائف الحجاز، وعشرون حملاً من الكافور الأشهب والعنبر الهندي والمسك الأذفر.

قال فلما استوفى منهم عمرو بن عامر مائة حمل من كل شيء على الوصف الذي ذكرناه سلم إليهم نصف جميع الذي له من الجنتين، ولم يجد من يشتري النصف الآخر، فتركه، وخرج من مأرب بجميع ولده وأهله وعشيرته وكافة أزد، وأقبل فما لا يعلمه إلا الله من العدد والعدد والخيل والإبل والشاء والبقر وغيرها من أجناس السوام، فلا يرد قومه وكافة من معه من بني عمه ماء إلا أنزفوه، ولا يسمون بلداً إلا أجذبوه. وفي ذلك ضربت الأمثال لهم الرواد في البلاد، حيث خرجت تلتمس لهم المرعى والماء. وكان من روادهم رجل من عمرو بن الغوث خرج لهم رائداً إلى بلاد إخوتهم همدان فرأى بلاداً لا تقوم مرعاها ومياها بما شيتهم، فأقبل آتياً إليهم حتى وافاهم، ثم قام فيهم منشداً وهو يقول: " من الوافر "

ألمّا تعجبوا مِنّا ومِمّا ... تعسّفنا به ريبَ اللَّيالي

تركنا مأرباً وبها نشأنا ... وقد كُنّا بها في حُسنِ حال

تقبيلُ سُرُوجنا في كُلِّ يومٍ ... على الأشجارِ والماءِ الزُّلالِ

وكُنّا نحنُ نَسْكُنُ جَنَّتِيها ... مُلوَكًا في الحدائقِ والظلالِ

فوسوسَ ربُّنا عمراً كلاماً ... لكاهنِهِ المُصِرِّ على الضَّلالِ

فأقبلنا نسوقُ الحُودَ منها ... إلى بلدِ الجِماعَةِ والهزالِ

ألا يا للرجالِ لقد دهنتمُ ... بمُعْضِلَةِ ألا يا للرجالِ

أبعدَ الجَنَّتَيْنِ لنا قراراً ... بربذة أو أثافتَ أو أزالِ

فأما الجوفُ وإدِ ليسَ فيه ... سوى الرِّيضِ المبرِّدِ والسَّيالِ

وفي عوفِ فليسَ لكمُ قرارٌ ... ولا هي مُلتجأُ أهلٍ ومالِ

وأرضُ البونِ قصدكمُ إليها ... لترعوها العظيمَ من المُحالِ

وفي الحُشبِ الخلاءِ وأشرفيها ... لكمُ يا قومَ من قبيلِ وقالِ

وهذا الطُّودُ دُونَ الغورِ منكمُ ... ودونَ الغورِ أركانُ الجبالِ

وخيلكمُ إذا حشمتموها ... تزورُ الشَّامخاتِ مِنَ القلالِ

أخافُ وحي تعلقها عليكمُ ... فتصْبِحُ لا تسيرُ من الكلالِ

وأنتم يا بني العوث بن نبت ... فلا والحيل والسمر العوالي
إذا ما الحرب أبدت ناجذيتها ... وشمرت الجحاح للقتال
قال: وكان من روادهم رجل يقال له عائذ بن عبد الله بن نصر بن مالك بن نصر بن الأزد، خرج لهم رائداً
إلى بلاد إخوانهم حمير، فرأى بلاداً ضيقة، لا تحملهم، ولا تقوم مياهها ومراعيها بماشيتهم، مع ما فيها من
كثرة أهلها. وأقبل آتياً إليهم حتى وافاهم، فقام فيهم منشداً وهو يقول:
علام ارتحال الحي من أرض مارب ... ومارب مأوى كل راض وعاتب
أما هي فيها الجنتان وفيهما ... لنا وطن فيه فون الأطيب
ألم تك تغدو خورنا مرجئة ... على الحرج المنف بين المشارب
لئن قال قولاً كاهنً لمليكننا ... وما هو فيما قال أول كاذب
نخلفها والجنتين ونبغى ... بجهران أو في يحصب مثل مارب
فهيئات بل هيئات والحق خير ما ... يقال وبعض القول كشف المعائب
لقد ردت صيدا والسحولين بعده ... وعنة والسيال بين الربائب
وغورت حتى طفت من أرض حمير ... لمأربنا من مشبه أو مقارب
وهذي الجبال الشم للغور دونكم ... حجاب وما فيها لكم من مارب
وخيلكم خيل رعت في سهولة ... من الأرض لم تألف طلوع الشناخب
أخاف عليكم الوقي إن رابها ... وأنتم ولات الملعنات العجائب
وكم ثم كم من معشر بعد معشر ... أجتتم حماهم بالجياد السلاهب

قال: فأقاموا ما أقاموا في أزال وربذه حتى استمخرت خيلهم ونعمهم وماشيتهم، وصلح لهم طلوع الجبال،
فطلعوها، وهبطوا منها في تمامة على ذوال وغلبوا غافقاً عليها. وأقاموا بتهامة ما أقاموا، فلم يغتبطوا بها، ولم
تقع منهم بالمواقفة، فساروا منها إلى الحجاز، وافترقوا من الحجاز فرقا، فصار كل فخذ منها إلى بلد، فمنهم
من نزل السروات، ومنهم من تحلف بمكة وما حولها، ومنهم من سار إلى الشام، ومنهم من سار إلى عُمان.

وفي ذلك يقول جماعة البارقي حيث يقول: " من الخفيف "
حلت الأزد بعد ماربها الغو ... ر فأرض الحجاز فالسروات
ومضت منهم كتائب صدق ... منجذات تجوب أرض الفلاة
فأتت ساحة اليمامة بالأطع ... ان والحيل والقنا والرؤماة
فأنافت على سيوف لطم ... وجديس لدى العظام الرؤفاة
وأنابت تؤم قافية البح ... رين بالخور بين أيدي الرعاة
فأقرت قرارها بعُمان ... فعُمان محل تلك الجهات
وأنت منهم الخورنق أسد ... فاحنوا ملكها وملك الفرات
وسمت منهم ملوك إلى الشا ... م على الأعوجية المضمرات

فاحتووها وشيدوا الملكَ فيها ... فلهم ملكٌ ساحةِ الشَّاماتِ
تلكمُ الأكرمونَ من ولدِ الأز ... دِ لغسانَ سادةِ السَّاداتِ
والمقيمونَ بالحِجازِ بجمعٍ ... أرغموا منهمُ أنوفَ العداةِ
ملكوا الطَّودَ من شرومِ إلى الطَّ ... انفِ بالعدلِ منهمِ والثَّباتِ
واحتوتُ منهمُ خزاعتُها ال ... كعبةَ ذاتِ الرُّسومِ والآياتِ
أخرجتُ جرهمَ بنِ يشجبَ منها ... عُنوةً بالكتائبِ المُعلماتِ
فولاةُ الحجيجِ منها ومنها ... قُدوةً في مِنيَّ وفي عرفاتِ
وإليها رفاةُ البيتِ والمر ... باعُ تُجِى لها من الغاراتِ
وبنو قيلةِ الَّذِينَ حووا يث ... ربَ بالقُودِ الأسودِ العُناةِ
زحفوا لليهودِ وهي أُلوفٌ ... من ذُهاةِ اليهودِ أي ذُهاةِ
فأبادوا الطعانَ منها ولمَّا ... يَفشلُوا في لِقَاءِ تلكِ الطُعاةِ
فأذلُّوا اليهودَ فيها وأخلوا ... منهمُ الحرَّتَيْنِ فالألباتِ
أصبحَ الماءُ والفشيلُ لقومٍ ... تحتِ آطامها مع الثمراتِ
وهمُ من بني اليهودِ عبيدٌ ... حوُلٌ من نواظِرِ وبناتِ
ورحابُ لهم تسييمُ سُروجاً ... وسقاةُ قواربِ وطهاةِ
أسروها من اليهودِ لدى شتٍ ... بيتها في القرى وفي الفلواتِ
أيُّهذا الَّذي يُسائلُ عنَّا ... كيفَ يخفى عليك نُورُ الهداةِ
نحنُ أهلُ الفخارِ من ولدِ الأز ... دِ نحنُ أهلُ الصِّياءِ والظُّلماتِ
هل ترى اليومَ في البلادِ سِواناً ... مِنْ مُلوكِ وسادةِ وولاةِ

قال: فأما من سكن عمان من الأزدي فيحمد والحدان ومالك والحارث وعبيد. وأما من سكن العراق فجزيمة
الوضاح. وأما من سكن الشام فجعنة. وأما من سكن المدينة فالأوس والخزرج. وأما من سكن مكة
ونواحيها فخزاعة. وأما من سكن السروات فبجيلة وخنعم والحجر ونهد وغامد وشكر وبارق وسنجاب
ودوس ونمر وخواله واليهوم وشمرا وعمر.

ويقال: إنه لما خرج عمرو بن عامر بكلية قومه الأزدي من أرض مأرب في كافة ولده، وخرّب سد مأرب،
وتعطلت الأعمال التي تقلدها عمرو بن عامر، واشتغلت ملوك كندة بأعمالها التي كانت تتولاها من
الأطراف والثغور وقبائل العرب، وكذلك اشتغلت مذحج وهمدان بما في أيديهما من البلاد والأعمال،
وبعدت لحم وجدام، واشتغلت ببلادهما وبما هما فيه من مقاساة الأطراف والثغور، وصارت أولاد نصر بن
الأزدي في أرض فارس وجانب الشحر - وهم عشيرة الجلند بن كركر وقد تقدم خبره في هذا الكتاب -
وانتشرت قضاة في الشام وأكناف الحجاز، ونزلت في الحجر منهم عذرة، وفي جنبها ورضوى نزلت
جهينة. قال: وأقبلت أولاد عمرو بن عامر تلتهم البلاد التهاماً، تشق العرب بطناً بطناً لا يدخلون بلداً إلا

غلبوا أهل ذلك البلد عليه. أما خزاعة فغلبت جرهم على مكة، وأما الأوس والخزرج فغلبوا اليهود على المدينة، وأما المناذرة فغلبوا أهل العراق على العراق. وأما جفنة فغلبوا أهل الشام على الشام وملكوها. وأما ولد عمران بن عامر فغلبوا أهل عمان عليها. إلا أن الجميع من هؤلاء في طاعة الملوك من حمير، وذلك عند انتقال الملك من يشد بن زرعة إلى ابن عمه الحارث الرائش، وخبره قد تقدم في هذا الكتاب. وهو أبو التباينة السيارة في شرق البلاد وغربها، وخبره قد تقدم، وكذلك أخبار الثامنة قد تقدمت في هذا الكتاب.

وصية عمرو بن عامر

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي أن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس لما حضرته الوفاة جمع بنيه وقومه فخطبهم وأوصاهم - وكان قد مضى له من العمر ثمانئة سنة، منها أربعمئة سنة سيداً شريفاً، وأربعمئة ملكاً مملكاً - فقال لهم: قد أسمعكم الداعي ونفذ فيكم البصر ولزمتكم الحجة، وانتهى بكم الأمر إلى حد الرجاء، ومرجو حسن القضاء، فليس أحد أعظم في خلقه رزية ولا في أمره بلية ممن ضيع اليقين وغره الأمل، وإنما البقاء بعد الفناء. وقد ورثنا من كان قبلنا وسيرثنا من يكون بعدنا، وقد حان الرحيل من محل زائل وظل مائل، ألا وقد تقارب سبب فاحش وخطب جليل فاستصلحوا ما تقدمون عليه، وارضوا بالباقي خلفاً من الفاني سلفاً، وأجملوا في طلب الرزق، واحتملوا المصائب بأحسن الاحتساب تستجلبوا النعماء. واستديموا الكرامة بالشكر قبل العجلة إلى النقلة وانتقال النعم ودول الأيام وتصرف الحالات، فإنما أنتم فيها أهل للمصائب وطريق للمعاطب، فاتنوها، ودعوا المذاهب في هذه الغرارة الضرارة أهلها، في كل يوم لهم جرعة شرق، ومع كل أكلة غصص. ولن تنالوا فيها نعمة إلا بفراق أخرى، فأنتم الخلف بعد السلف، تفنيكم الدهور والأيام، وأنم أعوان الخوف، وعلى أنفسكم وفي معاشكم أسباب مناياكم، لا يمنعكم شيء منها، ولا يغنيكم شيء عنها. في كل سبب منكم صريع ومعترف. وهذان الليل والنهار لم يرفعا شيئاً إلا وضعا، وهما جديران بتفريق ما جمعاه. أيها الناس اطلبوا الخير ووليه واتركوا الشر ووليه، واعلموا أن خيراً من الخير عامله، وأن شراً من الشر فاعله. ثم النفث إلى بنيه وأنشأ يقول:

تجدد لحمي يا بني وأقشعت ... سحائب جهلي واسترحت عن العذل
وودعت إخواني الشباب وغرتني ... غواي وعريت المطية من رحل
وأصبحت أخطو أسير الأرض بالخطا ... ديباً كما يخطو المقيد بالغل
وقد كنت غضباً في الشباب وعيشه ... كلدن من الخطي أو مرهف نصل
أجد وأمضي في الأمور إذا دحت ... قوادحها بالعزم والجد لا المنزل
فلما رأيت الدهر ينقض مررتي ... كما انتقضت بعد الهوى مرة الحبل
فرعت إليكم بالوصية فاحفظوا ... وصاتي وبادرت التغيير من عقلي
بني حلبت الدهر بالدهر برهه ... وذقت به طعم المر من المحلي
وقايست أخلاق الرجال فلم أجد ... لذي شرف فيها علواً مع البخل

ولم أرَ مثلَ الجُودِ داعٍ إلى العُلا ... ولا كالتدَى داعٍ إلى شرفٍ معلي
وأدركَ عُمري السدَّ قبلَ انهدامِهِ ... وعهديّ به إذ ذاكَ مُجتمعُ الشَّمَلِ

ونحنُ مُلوِكُ النَّاسِ طُراً وما لنا ... نظيرٌ بحزنٍ في البلادِ ولا سهلٍ
وقُدتُ جيادَ الخيلِ من سدِّ مَربٍ ... إلى يثربِ الآطامِ والحِثِّ والتسلِّ
وأدركتُ رُوحَ اللهِ عيسى بنَ مريمٍ ... ولستُ لعمري اللهُ إذ ذاكَ بالطفَّلِ
إذا متُّ فانعوني إلى كُلِّ سيِّدٍ ... شريفٍ وأعلوا بالرزِيَّةِ والثُّكلِ
وكُونوا على الأعداءِ أسداً أعزَّةً ... وقوموا لتشييدِ المعالي على رحلِ
وإنَّ قامَ مِنكمُ قائمٌ فاسمُعو له ... ولا تخذلوه إنَّما النُّلُّ في الخذلِ
وكُونوا له حصناً حصيناً ومعقلاً ... منيعاً وأبلوا يا بنيَّ مع المُبلي
وإنَّ ظالمٌ من قومِكُم رامَ ظلمِكُم ... فأغضوا وحاموا يا بنيَّ على الأصلِ
فلمْ يعدُّ يوماً ظالمٌ ضرَّ نفسه ... ولا الحُلمُ أسنى بالرجالِ من الجهلِ
ولا تهنوا أن تدرِكوا الثُّبلَ إنَّني ... رأيتُ ذوي العِزِّ المِدارِكِ للثُّبلِ
وإنَّ مِنكمُ جانٍ جنى مُصمَّلةً ... عواناً وأبدتْ عن نواجذِها العُصلِ
وشالتْ بقطريها تلظى وشيهاً ... لإضرامِها العاؤونَ بالخطبِ الجِرلِ
فكُونوا أمامَ العالمينَ بضربِكُم ... وقومِكُم حدَّ الأسنَّةِ والثُّبلِ
وإنَّ كانَ من يسعَى إلى الحربِ فاركُبا ... صدُورَ القنا بالخيلِ مِنها وبالرَّحْلِ
وموتُوا كراماً بالقواضبِ والقنا ... وما خيرُ موتٍ لا يكونُ من القتلِ
وعافوا المنايا بالصُّنا إنَّ في الصُّنا ... لخبلاً لمن يَضنُّ يزيدُ على الخبلِ

ويقال: إن ولد عمرو بن عامر ما زال يحفظ هذه الوصية، ويعمل بها، ويجري أمره عليها، ويوصي بها في الجاهلية والإسلام. ولها في ذلك أشعار محفوظة تتناشدها العرب في المجالس والمحافل وفي ملاقاتة الرجال عند النزال وفي إكرام الضيف وحياطة المستجير ودفع الضيم والحاماة على الحسب. من ذلك قول السموع بن عاديا الغساني:

تُعيرُنَا أنا قليلٌ عديدُنَا ... فقلْتُ لها إنَّ الكرامَ قليلُ
وما ضرُّنا أنا قليلٌ وجارُنَا ... عزيزٌ وجارُ الأكثرينَ ذليلُ
وما ماتَ منَّا ميتٌ في فراشِهِ ... ولا طلَّ منَّا حيثُ كانَ قتيلُ
تسيلُ على حدِّ السيِّوفِ نفوسُنَا ... وليسَ على غيرِ الحديدِ تسيلُ
ونحنُ أناسٌ لا نرى القتلَ سبَّةً ... إذا ما رأتهُ عامرٌ وسلُولُ
لنا جبَلٌ يحنُّه من نُحلِّهِ ... منيعٌ يرُدُّ الطرفَ وهوَ كليلُ
وأيامُنَا مشهورةٌ عُرِفَتْ لنا ... لها غرٌّ مشهورةٌ وجُحُولُ

وأسيافنا في كلِّ شرقٍ ومغربٍ ... بها من قِراعِ الدَّرَاعِينَ فُلُولُ
وللنابغةِ الذبياني في هذا المعنى، في شعره الذي يمدح به ابن عمرو بن عامر حيث يقول:
ولا عيبَ فيهِمْ غيرَ أنَّ سِيوفَهُمْ ... بَهَنَ فُلُولُ من قِراعِ الكِتابِ
ولبعض ولد عمرو بن عامر من الأنصار في مثل ذلك: " من الوافر "
أبت لي عَفَّتِي وأبي حَيائي ... وأحذِي الحَمَدَ بالثَمَنِ الرِّيحِ
وإِقدامي على المَكْرُوهِ نَفْسِي ... وضَرِي هامةَ البَطْلِ المُشِيحِ
وقولي كَلَمًا جَشأتُ وجاشَتُ ... مكانك تُحَمِدِي أو تستريحي
لأدفع عن مكارمِ صالحاتٍ ... وأحجِي بعدُ عن عِرْضِ صحیحِ
وحَدَّثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن أبا الأوس والخزرج وهو الحارث بن ثعلبة بن عمرو
بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد أقبل على ابنه الأوس والخزرج حين حضرته
الوفاة، فقال: " من الرجز "

يُوصِيكُمَا أبو كَمًا ابنُ ثعلبَةٍ ... بما اشتهاهُ مِنكُمَا وأعجِبَهُ
منَ الحِصَالِ العُورِ المُنْتخبِ ... بِنِي إن العِزَّ صَعِبُ المَكسِبِ
وما عداهُ فَالْحَزَى والمثلِبِ ... ورُبَّمَا يلقى امرؤُ ما طلبَهُ
بل رُبَّمَا أخطأهُ وجَنِبَهُ ... فالتَمِسُوا العِزَّ ورُومُوا سببَهُ

فإنَّ في العِزِّ الأُمورَ المُرغِبَةَ ... وصاحبُ العِزِّ رَفِيعُ المَرتبَةِ
يرفَعُ أَقصى قَومِهِ وأقربَهُ ... والعِزُّ في أربَعَةِ مُنَسِبَةٍ
في كَرَمٍ للمِرءِ يعلُو حَسبَهُ ... ونَجْدَةٍ حاضرةٍ مُوثَبَةٍ
ولُغَةٍ مسمُوعَةٍ مُعَرَّبَةٍ ... ورأيِ صَدقٍ حيثُ أرسَ أرسبَهُ
فهُنَّ ما إن هُنَّ إلا موهِبَةُ ... بِنِي ما أسنى الغنى وأهدبَهُ
وما أَجَلُ ذِكرُهُ وأرغِبُهُ ... وما أَلَدَّ طعمُهُ وأطيبَهُ
تخبرُ الناسَ من أمرِ سُلْبَتِهِ ... ومن حوى مرغوبه واكتسبِهِ
لا سِيما إن كانَ مِن قَرَبَتِهِ ... لفلَكِ عانٍ أو لضيفِ نَدبِهِ
أو لزمانٍ ما حَلَّ ذِي مِصعَبِهِ ... تُطعِمُ في لأوائِهِ ذا مَقربِهِ
والبائِسَ المُعتَرَّ أو ذا مَترَبِهِ ... وإن دَعَا الدَّاعِي لأمْرِ أَرعِبِهِ
من حادِثٍ هَرَّ بِهِ وأرهبَهُ ... قَرَبَ للدَّاعِي السَّمِيعِ سَلهَبِهِ
شَدَّ عليه لِلقَواءِ مَرَكِبَهُ ... وشَدَّ من بعدِ الحِزامِ لِبِئِهِ
ثمَّ استوى من فِوقِهِ وقَرَبَهُ ... نحوَ الوغى مَقْتَلِبِ مِشطَبِهِ
مُعتَقِلًا لِلطَّاعِنِينَ سَلبَهُ ... يَأثمُ من جَمعِ العَدوِ مَقنَبِهِ
حيثُ يرى جُمهُورَهُ وموَكِبَهُ ... رامَ البِرازَ مُعَلِنًا وانتدَبَهُ

حتى إذا صاح به من طلبه ... اهدد كالليث له فأعطبه
بطعنة فاغرة مُنتعبه ... يركب منها رأسه ومنكبه
ذالكما العالی رفیع المنقبه ... يأمله الحي ويخشى عصبه
وهو فيحي حشد أم أربه

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن الأوس والخزرج حفظا وصية أبيهما هذه، وثبتا عليها، وعملا بها وكذلك أولادهما وأولاد أولادهما. وتقول العرب: حوت الأوس والخزرج خصالاً لم يسبقها إليها أحد قبلها، ولا جمعت العرب بعدها، وهي العز والكرم والوفاء والنجدة واكتساب الحمد من حيث ينال. وفي ذلك لبعض العرب يمدح رجالاً منهم، فقال:

رأيتُ أبا عمرو أُصيحةَ جارُهُ ... يبيتُ قريراً العينِ غيرَ مروّع
ومنْ يأتِهِ من خائفٍ نالَ أمنُهُ ... ومن يأتِهِ من جائعِ البطنِ يشبعُ
خصائِلُ كانت في الجُلاحِ قديمة ... خصائِلُ إن عُدَّ الحِصائِلُ أربعُ
وفاءً وتشريفٍ وعزٍّ ونجدةً ... يدينُ لها هذا الأنامُ ويخضعُ

وصية أفصى بن حارثة

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر - وهو أبو خزاعة - وصى بنيه فقال لهم: يا بني، إن الرائد لا يكذب أهله، والعالم لا يستحسن جهله، يا بني إن الحكم زرع في القلوب، ومثلها كمثل الحب، مهما زرع منه في أراضي حريمه نما نباته وزكا حصاده، ومهما زرع منه في... أو سبخة أخبث نباته ولم يرح حصاده. فهذا لتعلموا أن الطيب لا يقبله إلا الطيب، ولا ينمو إلا عند مثله. يا بني، اجتهدوا في خمسة أشياء تعزوا بها وتسودوا، واجتهدوا في إمطة العدو ونصرة الصديق وكرامة الضيف واصطناع العشيعة وتوسيط المستجير وبلوغه ما أمل. بذلك أمركم، وعمما يخالفه أمهاكم. ثم أنشأ يقول:

أبني إن وصيتي فيها لكم ... ما تدركون به المكارم فاعلموا
لا تعدلوا عنها لأخرى ما بدت ... لليل في أفق السماء الأنجم
أبني إني قد كبرت وخناني ... ريب الحوادث والزمان الأزل
أبني أنتم في بلاد جُلها ... بعد العمالقة الأوائل جرهم
والحي جرهم لا يلائمكم بما ... إذ طاب مسرحها وطاب المجثم
بلد يهيم السرح فيها آمناً ... والطير فيها والأواتك تسلم
فيها المشاعر والعلامات التي ... نصب الخليل به النبي الأكرم
والبيت بيت الله والحجر الذي ... من دونه تلك القلب الزمزم
ولسوف يسفلك منكم فيه ومن ... أحياء جرهم يا بني أفصى الدم

فمَنى عُشيتُم مِنهُمُ بظُلامةٍ ... من بعدِ أُخرى مِثلها فلتنزِمُوا
أن تصبِحُوا بالقواضِبِ والقنَا ... منهم أظلمُ

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن سبب إخراج خزاعة جرهماً من مكة حفظ خزاعة لهذه الوصية وعلمهم بها وثباتهم عليها، حتى استولوا على البيت دون جرهم، ونفوا جرهماً عن مكة وأخرجوها من أرض الحجر إلى الأصدار من دوقة والسقف من فونى. ويقال: إن بقايا جرهم بها إلى اليوم. وفي ذلك يقول قائل جرهم:

ألا ليت شعري هل أبيتُ ليلةً ... وأهلي معي بالمأزمين حُلُولُ
وهل تُصبحُ الخيلُ الوحي وتردها ... بدارِ بني كعبٍ هُنَّ صهيلُ
عليها بُنو هيٍّ ورهطُ مسلمٍ ... وآل مضاضٍ في الحُرُوبِ تُجُولُ
منازلُ كُنَّا أهلها فأزالنا ... زمانٌ نبا بالصالحين خذولُ
فأضحتْ بُنو كعبٍ وهُم أهلُ عَزَّها ... وغالتْ بَنِي سعدٍ بِمَكَّةِ غُولُ
قوله: فأضحتْ بنو كعب، يريد بذلك خزاعة. وأما سعد فبيت الرئاسة من جرهم.

فأجابه عمرو بن ربيعة بن كعب الخزاعي حيث يقول:
تَمَّيتَ أن تلقَى من الدهرِ ترحه ... وذا معجبٍ منه عليك مهولُ
تَمَنَّى أمانِي الدليلِ وإنَّما ... تفتكُ رجالٌ ذادَةٌ وخيولُ
فَحُلُّ بَارِضِ الحِجرِ إن كنتُ فاعلاً ... فإني لَكُم بِالْمَجْحَفَاتِ كَفِيلُ

ففي ذلك يقول مضاض بن عمرو الجرهمي حيث يقول:

وَكُنَّا وِلاَةَ البَيْتِ والقاطِنِ الَّذِي ... يُوفِّي إليه نَذرُهُ كُلُّ محرمِ
سكنا به قبلَ الطَّبَاءِ وراثَةٌ ... لنا من بني هيٍّ بنِ بيٍّ بنِ جُرْهُمِ
فأزعجنا منه وكُنَّا وِلاَتَهُ ... قبائلُ من كعبِ بنِ عمروٍ وأسلمِ
فأجابه الأعصم بن مالك الخزاعي حيث يقول:

بغاك عن البيتِ المحرَّمِ معشري ... رموكَ بطلَّاعِ الشَّيا عرمرمِ
فحازُوا موارِيثَ ابنِ نبتٍ لأنَّهم ... أحقُّ وأولى منكَ عمروَ بنَ جُرْهُمِ
وللحين خزاعة وجرهم في ذلك أخبار وأشعار، ملنا عن شرحها إلى ما احتجنا إليه في هذا الكتاب.

وصية عمرو بن لحي الخزاعي

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن عمرو بن لحي الخزاعي وصى أبناءه كعباً وعدياً وسعداً فقال: " من البسيط "

بنيَّ إني أرى فيما أرى عجباً ... ولم يزل في بني الدنيا الأعاجيبُ
أرى القبائلَ في غورٍ وفي نجدٍ ... من عَرَبٍ بَرٍّ فسلابٌ ومسلوبٌ

وَكُلُّ مَنْ لَيْسَ فِي الْأَجْيَادِ أَصْرَخَ عِنْدَ الْمُرَاهِزِ مَا كُؤُلٌ وَمَشْرُوبٌ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ ذَنْبًا يُخَافُ لَهُ ... بَأْسٌ وَبَطْشٌ وَإِلَّا غَالَهُ الذِّبُّ
 وَأَوْهَنَ الْقَوْمِ فِيمَا بَيْنَ أَسْرَتِهِ ... وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ لَا شَكَّ مَغْلُوبٌ
 قَوْمُوا قِيَامًا عَلَى أَمْشَاطٍ أَرْجَلِكُمْ ... وَمَا قَضَى اللَّهُ مِنْ أَمْرٍ فَمَكْتُوبٌ
 مَا يَحْتَوِي الْمَلِكُ فِي الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا ... إِلَّا أَمْرُؤٌ فِي صَدُورِ النَّاسِ مَهْيُوبٌ
 إِنَّا لَعَلَّمْنَا مَا بِالْأَمْسِ كَانَ لَنَا ... وَمَا يَكُونُ غَدًا عَنَّا فَمَحْجُوبٌ
 وَكُلُّ خَيْرٍ مَضَى أَوْ نَالَهُ سَلْفٌ ... لِلْمَرْءِ فِي اللُّوحِ عِنْدَ اللَّهِ مُحْسُوبٌ
 كُونُوا كِرَامًا وَذُودُوا عَنْ عَشِيرَتِكُمْ ... وَجَالِدُوا دُونَهَا مَا حَنَّتِ النَّيْبُ
 وَشِيدُوا الْمَجْدَ مَا مَدَّ الزَّمَانَ بِكُمْ ... فَإِنَّهُ عَلَّمَ لِلْمَلِكِ مَنُصُوبٌ
 ذُو الْجُودِ يَلْقَى الْعُلَا فِي غَيْرِ مَعَشِرِهِ ... وَذُو الضَّنَانَةِ فِي حَيِّهِ مَنُكُوبٌ
 تَلْقَى الْكَرِيمَ شَجَاعًا فِي مَسَالِكِهِ ... وَالْبُخْلُ صَاحِبُهُ حَيْرَانٌ مَرْعُوبٌ
 هَاتَا وَصَاتِي وَفِيمَا تُبْتَلُونَ بِهِ ... مِنَ الزَّمَانِ لَكُمْ بَعْدِي التَّجَارِبُ

وصية جفنة بن ثعلبة

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن جفنة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر أقبل على بنيه، فقال لهم: يا بني تنافسوا في المكارم، وتجنبوا ما يعدو بكم عنها، فإني إخالكم دون هذا للأيام ملوكاً، ولا يكون الملك ملكاً يا بني حتى يكون منصفاً عدلاً، ويكون للأموال باذلاً، ويكون شجاعاً مقاتلاً عظيماً حليماً ليياً حكيماً لا غشوماً ولا ظلوماً. ولقد رأيتمكم يا بني وفيكم هذه الخصال التي عدتها. ثم إني وإيم الله أعرفكم بها دون هذا الناس. ولقد نشرت ملككم قبل أن تولدوا، فياليت من شهدني يومئذ من إخواني وأعمامي كان شاهدي في يومي هذا. ثم أنشأ يقول:

يا ليتَ ثعلبةَ بن عمرو لم يمتَ ... يا ليتَ ثعلبةَ بن عمرو يُنشرُ
 بل ليتَ عمرانَ بن عمرو شاهدي ... وأخاه عوفاً أو ربيعةَ يظهرُ
 بل ليتَ حارثةَ بن عمرو وابنه ... أفصى ...
 حتى يروا لي منكم ولنسلهم ... غرراً كأمثالِ الأهلهِ تزهرو
 غرراً ليوثاً في الصوائحِ للوغى ... والمشرفية والقنا تتأطرُ
 ظني بيِّ بكم وظني ظنُّ من ... يعطي النبي من الصَّحيحِ ويُخبرُ
 أن سوفَ يحوي الشَّامَ منكم سبعةً ... بهم الأُسرةَ والمنابرُ تُعمرُ
 وإلهم تُجني الإتاواتُ التي ... من قبلُ كانتُ تحببها حَميرُ
 أيامَ لا كِسرىَ يناصي معشري ... لالا ولا يعصي جُدودي قيصراً

ويقال: إن جفنة هذا أول ملك ملك من غسان وإليه تنسب ملوك غسان التي ذكرها حسان بن ثابت

الأنصاري حيث يقول:

للهِ دَرٌّ عَصَابَةٌ نَادَمْتُهَا ... يوماً بِجَلَقٍ بِالزَّمَانِ الْأَطْوَلِ
يُغَشُونَ حَتَّى مَا تَهْمُرُ كَالأُبْهُمُ ... لا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ
بِيضُ الوُجُوهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ ... شَمُّ الأَنْوْفِ مِنَ الطَّرَازِ الأَوَّلِ
أولَادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أبِيهِمْ ... قَبْرِ بِنِ مَارِيَةَ الكَرِيمِ المُفْضِلِ
الخَالِطُونَ غَنِيَّهُمْ بِفَقِيرِهِمْ ... وَالمُعْمُونَ عَلَى الضَّعِيفِ المُرْمِلِ

وصية الحارث بن ثعلبة بن جفنة

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو بن عامر - وهو

الحارث الأكبر - وصى ابنه عمرو بن الحارث في شعره حيث يقول: " من البسيط "

يا عمرو دُونَكَ مُلْكُ الشَّامِ دُونَكَ ... دُونَ المُلُوكِ وَلِلْحُسَّادِ تَرْغِيمُ
مَا إِنْ مَضَتْ حَمِيرٌ إِلَّا بَعْصَتِهَا ... وَلَا العَمَالِقَةُ الأُولَى وَلَا الرُّومُ
هِيَ الشَّامُ الَّتِي مَا مِثْلَهَا بَلَدٌ ... يَا عمرو دُونَكَهَا وَالرِّزْقُ مَقْسُومُ
يَا عمرو أَصْلِحْ لَكَ النَّاسَ الَّذِينَ هُمْ ... فِيهَا السَّوَارِحُ ...

احلل بوادي بها عن قُربِ حَاضِرِهَا ... بِحَيْثُ مَوْجُوعُهَا شَيْخٌ وَقِيصُومُ
وحيثُ لَيْسَ بِهَا حَيٌّ يُجَاوِزُهَا ... إِلَّا الصَّدَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ وَالبُومُ
إِنَّ البُدَاةَ إِذَا مَا اسْتَوَطَّنَتْ بَلَدًا ... فِيهِ لِأَهْلِيهِ جَنَاتٌ وَتَعِيمُ
حَنَّتْ لِإِفْسَادِ مَا فِيهِ هُنَاكَ كَمَا ... تَحْنُ مَذُودَةٌ عَن وَرْدِهَا ...

مَا لِلبُدَاةِ سِوَى الأَقْصَى إِذَا نَزَلَتْ ... وَلَا لَهَا مَوْطِنٌ إِلَّا الدِّيَامِيمُ
بِهَذِهِ كَانَ وَصَّيَ أَبِي وَبِهَا ... يَا عمرو أوصي وَمِنْهَا المُلْكُ مَرْسُومُ

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن عمرو بن الحارث الأكبر حفظ وصيته أبيه، وثبت

عليها، وعمل بها، وملك ما ملك أبوه من أرض الشام وقبائل العرب. ويقال: إنه رسم لنفسه في كل ليلة

جارية بكرًا، لا بد له منها من السبايا التي تصيبها خيله وسراياه المغيرة في البلاد على العصاة من أهلها. ولم

تزل تلك حاله حتى وقعت في السبي أخت عمرو بن الصعق العدواني، قال: فلم يشعر عمرو بن الحارث

وقد أمر أن يؤتى بها إلا وبقناة تفرع اللهج فأشرف، فإذا هو بفارس يقول:

يَا أَيُّهَا المَلِكُ المِهْيَبُ أَمَا تَرَى ... لَيْلًا وَصُبْحًا فِيكَ يَخْتَلِفَانِ

هَلْ تَسْتَطِيعُ الشَّمْسُ أَنْ تَأْتِيَ بِهَا ... مَشِيًّا وَهَلْ لَكَ فِي الصَّبَاحِ يَدَانِ

اعْلَمْ وَأَيُّقِنَنَّ أَنَّ مُلْكَكَ زَائِلٌ ... وَاعْلَمْ أَنَّ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ

قال: فناده عمرو بن الحارث، وقال له: قد أمنك الله فيمن لك عندي، وأمن كافة الناس فيمن وقع لهم إلي

من السبايا، ثم أمر ألا تبقى سبية سبيت إلا كسيت وردت، وحملت إلى أهلها ورد إليها من كان في الأسرى

من أهلها، وأن يرد عليها ما أخذ لها واغتنم من مالها. وآلى يمينًا من أوكد ما كانت تحلف به الملوك أنه لا

يعود فيما كان يفعله أبداً. ففي ذلك يقول عمرو بن الصعق العدواني:
أتيتُ ابنَ هندٍ طارقاً بعدَ رقيةٍ ... مخافةً ما تصنكُ منه المسامعُ
قرعتُ برُحِي لهجه فوعظتُهُ ... وضافتُ بأحشائي وقلبي الأضالعُ

فأمَنني مَما خشيتُ ولم تزلُ ... به تنجلي عَنّا الأُمورُ الرَوائِعُ
وأطلقَ لي عُوناً وعذراً كأنها ... وقد أقبلتُ تمشي الظباءُ الرَوائِعُ
فداءً له عدوانُ طراً وغيرُها ... ألا ونأى عنه الردى والفجائعُ
هو المَلِكُ البَرُّ السَّميدُ والَّذي ... نَمتهُ الملوِكُ الأكرمُون السَّمادِعُ
لَهُم أَوَّلُ الدُّنيا وحادِثُها لَهُم ... وآخِرُها فيهِم مَعَ المَلِكِ راجِعُ

وصية عمرو بن الحارث

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن عمرو بن الحارث وصى ابنه الحارث الخطار الذي كانت تسميه العرب الحارث الأعرج قال: وكان عمرو بن الحارث كاهناً، يخبر بالكوائن، وينذر منها، فأنشأ يقول: " من البسيط "

يا حارِ إِنِّي أرى دُنيايَ صائِرةً ... مَنِّي إِلَيْكَ وَقَد قامَتِ على ساقِ
غداً ستجتازُها دُوني وَتَمَلِكُها ... إِنْ يَأذنِ اللهُ لي فيها بِنفراقِ
ما يَقتَنِي المَلِكُ إلاّ مَن تَبوَّأهُ ... عِندَ التَّوائبِ مَن ماضٍ وَمَن باقِ
والتَّاسُ سَرَحُ رِباعِ وَالمَلوِكُ لَهُم ... ما بَينَ راعٍ وَحَفاظٍ وَسوَأِقِ
ولا يَحوِطُ ولا يَرعَى الأنامَ سِوى ... مَن في ذُرَى الجِدِّ عالٍ في العُلَى راقِ
ماضِي العزيمَةِ ذي حَزْمٍ وَذي فِطنٍ ... مُوفٍ لَدى العَقَدِ مَن عَهدٍ وَميثاقِ
تَفِيضُ كالبَحْرِ ذي الأَمواجِ راحِتهُ ... بِنائِلِ مُستَهلِّ السَّيبِ دَفاقِ
فإنَّ أَمَلتُ عِواناً لِلحُرُوبِ وَقى ... مَناها الَّذي لا يَقِيهِ دافِعٌ واقِ
بذابِلِ مَن قنا الخَطِيَّ يَقدُمُهُ ... وَصارِمِ كَشعاعِ الشَّمسِ بَرّاقِ
هي الوصِيَّةُ فَاحفظُها كما حَفِظتُ ... لِلمَلِكِ عَن كُلِّ فِتاقٍ وَرِفاقِ

قال محمد بن علي: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن الحارث الأعرج حفظ الوصية، وعمل بها، وثبت عليها، وملك بعد أبيه عمرو بن الحارث ما كان يملك من البلاد وقبائل العرب، وهو الذي ذكره النابغة في شعره الذي مدح فيه ابنه عمرو بن هند حيث يقول:

عليٍّ لعمرو نعمةٌ بعدَ نعمةٍ ... لوالِدِهِ لَيسَتْ بذاتِ عِقارِبِ
حلفتُ مَيمناً غيرَ ذِي مَشوِيَّةٍ ... ولا عِلِمَ إلاّ حُسناً ظنُّ بَغائبِ
لَئِن كانَ بالقَبرينِ قَبرٌ بِجَلَّتِ ... وَقَبرِ بِصِيداءِ الَّذي عِندَ حارِبِ
وما الحارِثُ الجَفنيُّ سَيِّدُ قومِهِ ... لَمَلتَمَسِ بِالجمَعِ أَرْضَ المُحارِبِ

على عارفاتٍ للطَّعَانِ عوابس ... بِهِنَّ كَلُومٌ بَيْنَ دَامٍ وَجَالِبِ
إذا استترُّوا عَنْهُنَّ لِمَوْتِ أَرْقُلُوا ... إلى المَوْتِ إِرْقَالِ الجَمَالِ المِصَابِ
ولا عيبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفُهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكِتَابِ
ويقال: إن القبرين الذين ذكرهما النابغة، أحدهما قبر جفنة بن مارية، والآخر قبر الحارث الأكبر بن ثعلبة بن
جفنة. وأما قبر عمرو بن الحارث ففي خلان من أرض الشام، وقد ذكره النابغة في شعره حيث يقول:
وآب مصلوه بغير جليَّةٍ ... وغودر في خلان حزمٍ ونائلٍ
وحلثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن الحارث الأعرج بن عمرو بن الحارث الأكبر وصَّى
ابنه أبا منذر واسمه عمرو المحرق بن هند. وهند بنت عوف الشيباني، أمها البرصاء بنت مرة فقال: " من
البيسط "

يا عمرو دُونَكَ أَرْضَ الشَّامِ دُونَكَهَا ... يا عمرو إِنَّ لَهَا شَأناً مِنَ الشَّانِ
يا عمرو فِيهَا لَكَ المُلْكُ الَّذِي مَلَكَتْ ... أولادُ جفنةَ مِنْ أولادِ غَسَّانِ
لا تَكْذِبَنَّ فِخْرُ القَوْلِ أَصْدَقُهُ ... والمرءُ يَكْذِبُ فِي سِرِّ وإِعْلَانِ
ما مِثْلُ مُلْكِكَ مُلْكُ حازِةَ مُلْكٍ ... مِنْ نَسْلِ حَمِيرٍ أَوْ مِنْ نَسْلِ كَهْلانِ
إِلَّا التَّابِغَةُ العُرَّةُ الَّذِينَ هُمُ ... كَانَتْ تَدِينُ مُلُوكَ الإنْسِ وَالجَّانِ
أبناءَ قَيْصَرَ قَدْ كَانَتْ تَدِينُ هُمُ ... وَكَانَ دَانَ هُمُ كَيْسَرِي بَنُ ساسانِ
إِنَّ المُلُوكَ رُعاةَ النَّاسِ حِينَ هُمُ ... ما كانَ فِي الأَرْضِ مِنْ عِزٍّ وَسُلْطانِ
كُنْ خَيْرَ راعٍ إِذا اسْتَرَعاكَ رَبُّهُمْ ... إِياهُمْ وَلنا كُنْ خَيْرَ ما ثانِ

كم أَوْصِكَ اليَوْمَ إِلَّا بِالَّذِي حَفِظْتَ ... عن الأوائِلِ مِنْ أبنائِ قحطانِ
قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن عمرو المحرق وهو ابن هند بنت عوف الشيباني حفظ
وصية أبيه، وثبت عليها، وعمل بها، وملك ما ملكت آباؤه من البلاد وقبائل العرب.
ويقال: إنه سمي محرِّقاً على وقت كبر سنه، وذلك أن أخواً له يقال له " أسعد "، وكان مسترضعاً في تميم،
فخرج إليهم عمرو بن هند، فقتل من تميم مقتلة عظيمة، ثم أخذ منهم مائة رجل أحياء، فضرجهم في النار،
وحرقهم، فلذلك سمي محرِّقاً. وقد ذكر ذلك ابن غالب التميمي في شعره حيث يقول:
أينَ الَّذِينَ بنارِ عمرو حُرِّقوا ... بل أينَ أسعدُ فِيهِمُ المُسْتَرَضِعُ
وقد ذكر ذلك الأعشى في شعره حيث يقول:
أبناء قوم قُتِلوا ... يَوْمَ القُصِيَّةِ مِنْ أوارِهِ
والعود يُعْصَرُ ماؤُهُ ... ولكلِّ عِيْدانِ عُصارُهُ
وقد ذكر ذلك الطرماح في شعره الذي يقول فيه: " من البيسط "
ودارمٌ قد قذفنا مِنْهُمُ مائةً ... فِي جاحِمِ النَّارِ إِذ يَنْزُونَ فِي الحُدُدِ
يَنْزُونَ بِالْمُسْتَوِي مِنْها وَيوقِدها ... عمرو، ولولا شحومُ القومِ لَمْ تَقْدِ

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن عمرو الخرق وصّى ابنه الأيهم فقال:
 إِنَّ الشَّامَ وَمَا حَوَتْ لِي أَرْضُهَا ... لَكَ بَعْدَ يَوْمِي كُلُّهَا يَا أَيُّهُمُ
 قَدْ سَسَتْهَا وَمَلَكْتُهَا لِي حَقِيبةً ... وَكَذَاكَ تَمَلِكُهَا وَمُلْكُكَ يَعْظُمُ
 فَإِذَا مَلَكَتْ وَصَرْتَ صَاحِبَ أَمْرِهَا ... بَعْدِي فَحُطَّهَا بِأَلْتِي هِيَ أَقْوَمُ
 أَحْسَنُ إِلَى مَنْ كَانَ فِيهَا مُحْسِنًا ... وَاعْدِلْ فَمَهْمَا تَسْتَطِيعُ فَتَقَدِّمِ
 مَنْ نَائِلٍ وَسِمَاحَةٍ تَعْلُو بِهَا ... لَبْنِي أَيْكَ سَنَاؤُهَا الْمُعْظَمُ
 وَالجَارُ وَالْمَوْلَى فَلَا تَخْذُفْهُمَا ... فَكِلَاهُمَا لَكَ صَاحِبٌ لَا يُسَلِّمُ
 وَعَلَى الْعَشِيرَةِ كُنْ عَطُوفًا إِنَّهَا ... لَبْنِي أَيْكَ صِنَاعَةٌ لَا تُنْهَزُمُ
 هَاتَا وَصَاتِي إِنِّي أَوْصِيكَهَا ... فَاعْمَلْ بِهَا دُونَ الْوَرَى يَا أَيُّهُمُ
 قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن الأيهم بن عمرو المحرق حفظ هذه الوصية، وعمل بها،
 وثبت عليها، وملك ما كان يملك أبوه عمرو المحرق.

والأيهم الذي يقول فيه النابغة، يوم قال له عمرو بن الحارث المحرق: امدح لي يا أخا ذبيان هذا الغلام،
 فقال: " من السريع "

هذا غلامٌ حسنٌ وجهُهُ ... مُسْتَقْبَلُ الْخَيْرِ سَرِيعُ التَّمَامِ
 لِلْحَارِثِ الْأَكْبَرِ وَالْحَارِثِ أَل ... أَعْرَجِ وَالْأَصْغَرِ خَيْرِ الْأَنَامِ
 ثُمَّ هُنْدٍ وَلِهْنَدٍ إِلَى ... جَدَّاتِ صِدْقٍ وَجُدُودِ كِرَامِ
 خَمْسَةَ آبَائِهِمْ وَهُمْ ... هُمْ خَيْرٌ مَنْ يَشْرَبُ صُوبَ الْعَمَامِ

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن الأيهم بن عمرو الخرق وصى ابنه جبلة بن الأيهم بن
 عمرو المحرق بن الحارث الخطار وهو الأعرج بن عمرو بن الحارث الأكبر بن ثعلبة بن جفنة بن ثعلبة بن
 عمرو بن عامر بن حارثة الأحساب بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، فقال له: يا بني إنك لملك
 الشام بعدي، وإنك لصاحب أمرها دون ولدي، وإنك لفي أوان العطيل لهذا الأمر الذي أوتيناه دون
 غيرنا، فإذا رأيت ذلك فانظر لنفسك ما يزينها والتمس لقومك ما يصونهم.

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن جبلة بن الأيهم لم يزل ملكاً مطاعاً في قومه غسان، يحيى
 إليه خراج الشام وتطبعه قبائل العرب فيها. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً وجبلة بن الأيهم
 ملك الشام. فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس أبو بكر، وأقام في الخلافة ما أقام وجبلة بن
 الأيهم ملك الشام. فلما كان في زمان عمر بن الخطاب أسلم جبلة بن الأيهم، وقدم المدينة في خمسمئة
 فارس من قومه أصحاب التيجان، وسار منها حتى دخل مكة حاجاً. ويقال: إنه كان يطوف ذات يوم من
 أيام الحج عليه إزار وشي ورداء وشي، فوطئ إزاره رجل من فرارة، قال: فلطمه جبلة بن الأيهم لطمه
 هشم بما أنفه، فقال: فأقبل الفزاري ودمه يسيل على صدره، حتى وقف على عمر بن الخطاب، فقال: يا
 أمير المؤمنين أنصفني من هذا الملك الجبار جبلة بن الأيهم الجفني، لطمني لطمه، فتركني على هذه الحالة،

قال: فدعا عمر بن الخطاب بجيلة بن الأيهم، فقال له: علام لطمت هذا الرجل؟ فقال له جيلة بن الأيهم: وطى إزارى، فقال عمر بن الخطاب: أما أنت فقد أقررت، فإما تعطيه لكمة بلطمته، وإما أن ترضيه من مالك، فقال جيلة بن الأيهم: لا أفعل شيئاً مما ذكرت يا أمير المؤمنين، وهم جيلة بن الأيهم أن يثير الفتنة بينه وبين عمر بن الخطاب. قال: فدخل إليه الناس فكلموه، وسكنوا بعض ما كان به من الغضب، وناشدوه بالله ألا يجعلها فتنة، فأجابهم جيلة بن الأيهم إلى ذلك. فلما كان في بعض من الليل مضى إلى الشام جيلة بن الأيهم فيمن معه، ودخل في النصرانية، ومضى حتى دخل بلد الروم على هرقل بن قيصر مغضباً حقناً عاتباً على عمر بن الخطاب.

وهذا مختصر من خبر جيلة بن الأيهم، والشرح يطول في ذلك. ويقال: إنه ندم على ما كان من تركه الإسلام ودخوله في النصرانية. وقال في ذلك شعراً، يقول فيه:

تَنصَّرْتُ لِلإِسْهَاقِ مِنْ عَارِ لَطْمَةٍ ... وَمَا كَانَ فِيهَا لَوْ تَصَبَّرْتُ مِنْ ضَرَرٍ
تَحْمَلُنِي مِنْهَا لِحَاجٍ وَنُخْوَةٌ ... فَجَعْتُ لَهَا الْعَيْنَ الصَّحِيحَةَ بِالْعُورِ
فِيالِيتَ لِي بِالشَّامِ أَدْنَى مَعِيشَةٍ ... أَجَاوَرُ قَوْمِي دَانِي السَّمْعِ وَالْبَصْرِ
وَيَالِيتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي وَلِبَيْتِي ... رَجَعْتُ إِلَى الْقَوْلِ الَّذِي قَالَ لِي عُمَرُ
وَيَالِيتَنِي أَرعى المَخَاضَ بَعْقَرَةً ... وَكُنْتُ أَسِيرًا فِي رِبِيعَةٍ أَوْ مُضَرٍّ

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: ولقد كان لجيلة بن الأيهم عند دخوله في النصرانية أخبار وأحاديث، يطول شرحها، وهو الذي يقول فيه حسان بن ثابت الأنصاري لما وصل به بره من أرض الروم حيث يقول:

إِنَّ ابْنَ جَفْنَةَ مِنْ بَقِيَّةِ مَعْشَرٍ ... لَمْ تَغْذُهُمْ آبَاؤُهُمْ بِاللُّؤْمِ
لَمْ يَنْسِنِي بِالشَّامِ إِذْ هُوَ رُبُّهَا ... كَلًّا وَلَا مُتَنَصِّرًا بِالرُّومِ
يُعْطِي الجَزِيلَ وَلَا يَرَاهُ عِنْدَهُ ... إِلَّا كَجَعْصِ عَطِيَّةِ المَنْمُومِ
جَالِسَتُهُ يَوْمًا فَتَقَرَّبَ مَجْلِسِي ... وَسَعَى عَلِيٌّ بِرَاحَةِ الخَرْطُومِ

وصية كندة

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن كندة - وهو ثور بن المرتع، واسم المرتع نبت بن مالك بن زيد بن كهلان - وصى بنيه، وهم أثله ونحيب ومعاوية، وهو جدّ الملوك المتوجة من كندة، فقال لهم: يا بني احفظوا أنفسكم عما يشينها، وحشوها على ما يزينها. يا بني، ما أفلح غادر قط، ولا ساد خائن يوماً من الدهر، ولا عاش كريماً إلا حميداً، ولا مات جواد إلا فقيراً ولست أرى شيئاً أذل من البخل، ولا أحسن من المنفرد الوحيد. ثم أنشأ يقول:

بَنِيَّ احْفَظُوا لِلدَّهْرِ مَنِّي خَصَائِلًا ... تَعِيشُوا بَهَا بَيْنَ الأَنَامِ مُلُوكًا
بَنِيَّ أَقْلُ النَّاسِ مَنْ كَانَ غَادِرًا ... فَكَانَ لِأَحْرَامِ الرِّجَالِ هَتُّوكَا
وَأَكْثَرُهُمْ مَنْ كَانَ فِي العُرْفِ آمِرًا ... وَكَانَ لِمَذْمُومِ الفَعَالِ تَرُوكَا

وأكرمهم من كان في سبيل العُلا ... وفي مهيعِ الجِدِّ التَّليدِ سلُوكا
وأهلهم من كان يُلقى لقومه ... إذا ندبوه للنَّزالِ وشيكا
وكان لدى الهيجا في كُلِّ مشهدٍ ... قصوماً لأقرانِ الرِّجالِ بُتوكا
وإيَّاكم والبخلُ فالبخلُ ربُّه ... وإن كان ذا مال يموتُ ضريكا
ولو عاشَ ما قد عاشَ لهُمانٌ لم يكنْ ... مع البخلِ إلا خامداً وهلوكا
بنيَّ صلُّوا الأرحامَ كي لا تفرَّدوا ... إذا كان طعنُ الواصلين شكوكا
فما الليثُ إلا بالعرين الذي به ... لما شاءه عند الجبالِ دروكا
وليسَ امتناعُ البيتِ إلا بأهله ... وإن ... سميكاً

وصية وائلة بن كندة

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن وائلة بن كندة بن المرتع وهو الذي يقال له الأشرس بن كندة وصّى بنيه فقال لهم: يا بني، عليكم بالثلاثة تناولوا بها ثلاث خصال، لا ينازعكم فيه ثلاثة، شريف تعالي في شرفه، وعزير تسامى في علو عزه، وكريم في حائق من ربايع كرمه. يا بني أجزلوا الموهبة قبل أن تسألوها لتسودوا الكرام قبل أن يسودكم مبذالها، وأجللوا الصمت في الندي يجمع لكم قوالها، واصدقوا الطعن عند الهياج ليرهب جانبكم أبطالها. أي ثلاثة لا عدتموهن ثلاثاً تجمع لكم الكرم والسؤدد والعز. وفي ذلك يقول أخوه يجب بن كندة حيث يقول:

لم يُقِ وائلة بن كندة مرشداً ... ثمَّ به وصّى بنيه أبوه
حتّى حباة ذا المكارم سكسكاً ... فوعاه حفظاً والسكونُ أخوه
وصأهما بثلاثة وصّى بها ... في السالفات من الزمان ذووه
لا تعدوان الرشد ما عملتا ... والمرء يجوي ما حواه أبوه
إنّا لنسلك مسلكا آباؤنا ... من قبلنا فيما مضى سلكوه
وكذاكم أولادنا أتباعنا ... فيما اتخذناه وما اتخذوه
لا يعرفون سوى الذي من قبلنا ... آباؤنا وجدودنا عرفوه
كأنوا الملوك وقد ملكنا بعدهم ... من أمر هذا الناس ما ملكوه
ولسوف يملك بعدنا من نسلنا ... تيجاننا شم الأنوف وجوه
يوهون ما رقع الزمان وصرفه ... عزاً ولا يوهى الذي رقعوه

وصية معاوية الأكرمين

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن معاوية الأكرمين وهو جد الملوك المتوجة من كندة وصّى بنيه، فقال لهم: يا بني، أحسنوا موالاة من والاكم، واجتهدوا في معاداة من عاداكم، أما من عاداكم

فأسهروا ليله، وأخيفوا نهاره، وكونوا أمامه ظلاماً، ووراءه أفاعي، وعن يمينه وشماله أسداً، افترسوه في الليل إذا تعشى، وانتهموه في النهار إذا تخلّى، فإن تركه إياكم ليس من شفقة به عليكم، ولكنه ينتظر الفرصة فيكم، ليثب وثبة الحاد على الضالة في مرصده. وأما من والاكم فارعوا ليله، واحفظوا نهاره، وكونوا له حصناً ساطعاً وركناً مانعاً وعيشاً هامعاً، وأدنى ما توجبون له من حقه أن تؤثره بالخير عليكم، وتقوه الشر بأنفسكم، وأن تحفظوه وأقاربه، فما الناس إلا اثنان، عدو كاشح وصدیق ناصح. ومعاوية هذا الذي يقول فيه عامر بن السكون الأشرس بن كنده بن المرتع حيث يقول:

أَبَتْ حَادَاتُ الدَّهْرِ إِلَّا امْتِحَانِيَه ... عَلَي الْمَكْرُوهِ إِلَّا اصْطِبَارِيَه
لَقَدْ كَانَ ظَنِّي أَنْ أُوَارِي وَلَا أَرَى ... رَجَالًا بِأَيْدِيهَا بُوَارًا مُعَاوِيَه
وَكَانَ الْقَوَى مَنِّي فَلَمَّا سُلِبْتُهُ ... سُلِبْتُ الْقَوَى حَتَّى اسْتَبَانَ امْتِحَانِيَه
لَقَدْ فَارَقْتَنِي يَوْمَ فَارَقْتُ وَجْهَهُ ... يَمِينِي لَا بَلْ فَارَقْتَنِي شِمَالِيَه
فَلَوْ كَانَ يُفِدَى لِافْتِدَيْتُ بَقَاعَهُ ... بِنَفْسِي وَأَوْلَادِي وَأَهْلِي وَمَالِيَه
لَقَدْ وَرِثْتُ ثَوْرَ بَنِ نَبْتِ بَنِ مَالِكٍ ... فَتَاهَا الَّذِي أَصْحَتْ لَهُ وَهِيَ بَاكِيَه
فَكَأَنَّ تَرَى فِي كِنْدَةَ الْمَلِكِ وَالْعُلَا لَهُ الْيَوْمَ مِنْ رَاثٍ يَحْنُ وَرَاثِيَه
مُعَاوِيَ إِنِّي لَسْتُ أَنْسَاكَ مَا جَرَتْ ... شَامِيَه فِي عَنَدَلٍ أَوْ يَمَانِيَه
تَمَّتْ إِذْ وَافَتْ نَعَاتِكَ عُدْوَه ... بِأَنْ قَبِلَهَا قَامَتْ عَلَيَّ نَعَاتِيَه

وصية عمرو المفضور

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعل بن علي، أن عمرو المفضور وصى بنيه فقال لهم: يا بني، إن الدهر يومان، خير وشر، فأعدوا للخير خيراً يجمع لكم خيران في قرن واحد، وادفعوا شره بالتي هي أحسن عاقبة وأجلّ مالأً من غيرها، يا بني، اعملوا بما أوصيكم، ولا تعدوه إلى غيره، فإن الرُشد في وصيتي والغي بما خالفها. ثم أنشأ يقول: " من البسيط "

إِنْ تَجْهَلُوا ذِكْرَكُمْ فَالدَّهْرُ يَوْمَانِ ... خَيْرٌ وَشَرٌّ هُمَا شَيْنَانِ إِثْنَانِ

استقبلوا خيره بالخير وافترقوا ... خيراً يكن لكم في الخير خيران
وَدَافِعُوا شَرَّهُ عَنْكُمْ بِأَحْسَنِهَا ... دَفْعًا فَقَدْ يُدْفَعُ الشَّرُّ بِأَحْسَانِ
بِذَاكَ أَسْلَفْنَا وَصَّوْنَا ... بِنِيهِمْ مِنْ بَنِي هُودٍ وَقِحْطَانِ
وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ فِي الْحَيِّينَ بَعْدَهُمْ ... مِنْ حِمِيرٍ وَالذَّرَى مِنْ فِرْعَ كِهْلَانِ
لَنَا الَّذِي أَسَّسُوهُ قَبْلَنَا وَهُمْ ... مَا لَمْ نَحْنُ بِنَبِيهِ مِنْ تَشْيِيدِ بُنْيَانِ
وَالْمُلْكُ فِينَا وَفِي إِخْوَانِنَا وَلَنَا ... مَا كَانَ لِلْمَلِكِ مِنْ عِزٍّ وَسُلْطَانِ
بَنِيَّ لَا تَقْطَعُوا عَمْرًا وَلَا أَدْدًا ... وَالْأَزْدَ طُرًّا وَلَا أَحْيَاءَ هَمْدَانِ
وَالْحَيَّ حِمِيرًا لَا تَعْصُوا مُلُوكَهُمْ ... فَإِنَّكُمْ مَعَهُمْ فِي الْمَلِكِ سَيَّانِ

هُمُ أَذَلُّوا لَكُمْ هَذَا الْأَنَامَ وَهُمْ ... أَعْطَوْكُمْ الْمُلْكَ فِي أَبْنَاءِ عَدْنَانَ
وَهُمْ أَبَاحُوا بِلَادَ الْهِنْدِ وَافْتَسَحُوا ... مَدَائِنَ الْعُجَمِ فِي أَقْصَى خُرَاسَانَ
وَهُمْ صُلُّوا نَارَ أَهْلِ الصِّينِ ذُونَكُمْ ... حَتَّى حَوَّهَا لَكُمْ يَا آلَ قَحْطَانَ
وَالرُّومَ قَدْ مَنَحُوهَا غَنُوةً لَكُمْ ... وَأَرْضَ فَارِسَ دَاسُوهَا وَكِرْمَانَ

وصية معديكرب

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن معد يكرب الكندي وهو الذي يقال له ذو التاج

الأوضح أقبل علي بنيه وهو يقول: " من المتقارب "

بَنِيَّ حَلَبْتُ الزَّمَانَ الْخَوُونَ ... وَدَرَجْتُ أُسْطَرَّةَ الْبَغِيرِ

وَأَبْلَيْتُ ثَوْبَ الشَّبَابِ التَّضْيِيرِ ... وَبُدَلْتُ رِيعَانَهُ بِالْكَبِيرِ

وَقَدْ دَقَّ عَظْمِي وَدَانِي خُطَايَ ... وَخَانِي السَّمْعُ بَعْدَ الْبَصْرِ

وَأَصْبَحْتُ أَخْبِرُ عَنْ مَعْشَرٍ ... مَضَى الْعَيْنُ مِنْهُمْ وَوَلَّى الْأَثْرُ

يُسَائِلُنِي الْحَيُّ عَنْ سَالِفِيهِمْ ... كَأَنِّي لِفَائِتِهَا ذُو الْعُمُرِ

أَوْ إِنِّي رَكِبْتُ وَأَوْلَادُ نُوحٍ ... عَلَى ذَاتِ أُلُوَاحِهَا وَالذُّسْرِ

بَنِيَّ اسْأَلُونِي وَلَا تَسْأَلُوا ... سِوَايَ فَعِنْدِي صَحِيحُ الْخَبْرِ

عَنِ الْمُلْكِ كَيْفَ حَوْتَهُ الرَّجَالُ ... مِنْ أَبْنَاءِ قَحْطَانَ ذُونَ الْبَشَرِ

لَأُخْبِرَكُمْ خَبْرًا شَافِيًا ... يُسْرُّ بِهِ مِنْكُمْ مَنْ يُسْرُ

يَنَالُ مِنَ الْمُلْكِ مَا لَا يَظُنُّ ... بِمَا قَلَّ مِنْ ذَاتِهِ أَوْ كَثُرُ

وَمَنْ يَأْمَنُ الْجَارُ مَكْرُوهَهُ ... وَلِلْجَارِ مَأْمُولُهُ يُنْتَظَرُ

وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فِي أَمْرِهِ ... وَيَرْجُو النَّجَاةَ وَيَخْشَى الْغَيْبُ

وَيَعْلَمُ أَنَّ إِلَهَ السَّمَا ... ءِ ذُوهُ لَامِرِيٍّ مِنْ وَزْرِ

يَرَى مَا يَرُونَ وَمَا لَا يَرُونَ ... وَمَنْ عِنْدِهِ مُحْكَمَاتُ الزُّبُرِ

فَهَاتَا وَصَاتِي لَكُمْ يَا بَنِيَّ ... وَكَانَتْ وَصَاةَ جُدُودِي الثُّرُ

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن الأسود بن معد يكرب حين سمع هذا الشعر من أبيه آلى

يميناً ألا يتزر على زينة أبداً، ولا يمنع السائل مسألة يوماً، ولا تحمد له نار على طارق ما عاش، ولا يتقي

أحدًا فيما يروم من أمر الملك في دنياه إلا الله الذي خلقه وبراه. ثم أقبل علي بنيه وهو يقول: " من الرجز "

إِنِّي وَأَيْمَ اللَّهِ يَا مَعْدِيكَرِبُ ... لِبَارِحٍ مَا عَشْتُ أَوْ مَا تَحْتَبُّ

وَاحِدَ مِنْكَ يَا عَصَامَ الْأَدَبِ ... فليأمنن جاري ما هبَّ ودبُّ

فليسَ من عندي على جاري الأربُ ... إِنِّي وَحَقِّ الْجَارِ حَتْمًا قَدْ وَجِبُ

وَسَوْفَ أُعْطِي مَا مَلَكَتْ بِلْ أَهْبُ ... مِنْ الْبِلَادِ وَاللُّجَيْنِ وَالذَّهَبُ

وَالطَّرَافِ الْمِيرَاثِ عَنْ أُمَّ وَأَبُ ... حَتَّى أَشِيدَ حَسْبًا فَوْقَ الْحَسْبِ

وشرفاً يُغني الفتي عن النَّسبِ ... يُنيك أني من جواهرِ العرب
ذِمَامُهُمْ يُعشى الذي يهدي الطَّلبُ ... من شاء مالي دُونَهُ فليتهب
وتلك نارِي ما بقيت تلهبُ ... للطَّارق الضَّاوي وللطاوي الصَّعبُ

قال: فلما سمع أخوه ... بن معديكرب شعر أخيه الأسود بن معديكرب وما ردَّ فيه على أبيه وما تقدم من
يمينه، آلى يميناً كآلية أخيه أو أوكد منها على أنه لا يمنع أحداً شيئاً من ماله ولا ما سأل، وأنه لا يتكلم
بالخنى ما بقي، وأنه لا يهيم برأيه ما عاش، وأنه لا يغدر، ولا يخون، ولا ينطق إلا بما لا يردُّ عليه، وأنه لا
يرهب في جميع الأمور إلا الله وحده لا شريك له. ثم أنشأ يقول: " من الرجز "

أيا ابن معديكرب خير البشرُ ... فينا ابني الخير مع الشرِّ الشمرُ
نخلو إذا شئنا وإن شئنا نمرُ ... إنِّي وربُّ الميثبات للشحر
المسيلات بالسحاب المنهمرُ ... لآخذ بما به الآن شعر
وما به الأسود في القول نشرُ ... من تركي الريبة والأمر النكرُ
وتركي الغدر وما لا يشتهرُ ... عند نداء البدو منا والحضرُ
وصمتي الدهر عن القول الهترُ ... وبذلي المال لسؤال العشرُ
للمترب الداني وللتائي الهكرُ ... حتى أحوز منتهى شأو الغرُ
آليت إن طال بقائي أو قصرُ ... لا أتوي الغدر إذا غيري غدرُ
ولا أخون أحداً من البشرُ ... هاتيك نارِي في البقاع تستعرُ
لطارق الليل إذا الليل انعكرُ ... من شاء فضلي فإلي يبتدرُ
ولست أخشى أحداً ممن كبرُ ... في باطن الملك ولا فيما ظهرُ
إلا المليك المستعان المقتدرُ ... مسخر الشمس لنا مع القمرُ

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إنهما لم يزا على ما وصفا به أنفسهما، وأنهما ما سئلا قط
شيئاً مما يسأل إلا جادا به وبذلاه لسائلهما. وفيهما الأشعار الكثيرة للأعشى وغيره، ملنا عنها في خبرهما
وخبّر أبهما إلى التخفيف. وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن حجر بن عمرو المفضور
بن الحارث آكل المرار دخلت عليه كاهنة ذات يوم، فقالت له: أتأذن لي معك أتكلم أيتها الملك؟. فقال لها:
قولي ما علمت. فقالت له: والسماء ذات البروج، والأرض ذات المروج وما اشتملت عليه أرحام ذات
الفروج لقد نبئت نبأ، وعلمت خبراً بأن أعظمها خطراً وأبعدها نظراً وأكثرها نفعاً وضراً، يسفك دمك
شرها أناساً، وأرثها لباساً وأغشها كناساً، فاطعن أيتها الملك العظيم عن ساحة الأردلين، أسد وقيم. قال:
فأطرق حجر بن عمرو المفضور بن الحارث بن آكل المرار الكندي قليلاً، ثم رفع رأسه وأنشأ يقول: " من
المنسرح "

من يأمن اليوم أو يعيش غداً ... أم من يرجي خلوده أبداً
ينفذ ما نحن فيه عن كذب ... في إثر من قد مضى ومن نفذاً

حدّثتُ عن آكلِ المرارِ أبي ... عمرو وعمرو مَضَى وما خَلدا
بأثّةٍ قد رأى ثمانية ... قد ملكُوا الأرضَ كُلّها عَدداً
وشاهدينِ الخليلَ يتلو على ... جدّهم وحيّاً مُنزلاً وهُدَى
وقد رأى من رأى زُهيراً ... ومَنْ أخبره أنه رأى أدداً
والمرءُ همدان إن سمعتَ به ... شاهدهُ وهو يحملُ اللبدا
فهل ترى من أولاك كلهم ... فيمن عليها مُخلداً أحداً
إن كلَّ سمعي ورايبي بصري ... فكلُّ شيءٍ إلى انقضاءِ مدى
فقد ملكتُ الخليطَ من مضرٍ ... ومن تميمٍ والحيّ من بعدها أسداً
وعامراً لم أدع لهم لبداً ... يقيهم سَطوتي ولا سندا
وأيّما معشرٍ سمعتُ بهم ... لما نُدسُ غنوةً لهم بلدا
إن قتلوني ففي امرئ القيس أن ... يجتاح بالخيّل والرّجالِ غدا
يتركها حيث لا تُنبِت ولا تُصيحُ ... إلا طرائقاً قدرا

ويقال: إن حجر بن عمرو المفضور ما لبث إلا قليلاً بعد ذلك حتى قتله بنو أسد، فكان من امرئ القيس ما كان في قتله إياهم طلباً بئراً أبيه في ذلك، وفي ذلك قوله: " من السريع "

يا دار ماوية بالخائل ... فالخبتِ فالخبتين من عاقل
صمّ صدأها وعفا رسمها ... واستعجمت عن منطِقِ السائلِ
قولاً لدودان عبيد العصا ... ما غرهم بالأسدِ الباسلِ

قد قرت العينان من فقعس ... ومن بني عمرو ومن كاهل
ومن بني بكر بن دودان إذ ... نقلب أعلاهم على السافلِ
نطعنهم سلكى ومخلوجة ... لفتك لأمين على نابل
نتركهم صرعى لدى معرك ... أرجلهم كالخشب الشائلِ
والخيل أسراب كرجل الدبى ... أو كقطا كاظمة الناهل
وله في ذلك أشعار كثيرة، وفيما سرّحناه كفاية.

وصية همدان بن أوسلة

وحدّثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن همدان بن أوسلة بن مالك بن أوسلة بن ربيعة بن زيد بن كهلان أقبل على بنيه وقد كبر سنه وكلّ سمعه وضعف بصره، فقال: يا بني، أدرع الزمان لتبليبه، فأبلته أيامه ولياليه بأحوال ثلاث، مثل ثلاثة أنجم يتبع بعضها بعضاً، الأولى أمّا الصبا وشرخه فلأولاهن، وأمّا الشباب واعتداله فالوسطى منهن، وأمّا الشيب النازل والهزم فلأخراهن، ثنتان قد أقبلتا بما حوتاه لي، وثالثهن آفلة بما خلفتاه لهامتي ثم أنشأ يقول: " من البسيط "

بني من لم يُحز في الدهر مُعتبراً ... له ففي سِنْحِكُمْ همدان مُعتبرُ
استقبل الدهر إذ لم يُعشِ ناظره ... وهنا إذ لم يَخْنُه السَّمْعُ والبصرُ
وإذ يروحُ ويغدو تحتَ خافقه ... سوداء فنياهما كالليل معتكِر
يغدو بثوب الصبا واللَّهْوِ مُشتملاً ... وباللَّذاذقة إما شاءَ يعتجرُ
أرختَ عليه صرُوفُ الدهرِ كلِّكلها ... وكلكلُ الدهرِ لا يُبقي ولا يندُرُ
أبلى لوالدكم حالين فانقضيا ... عنه ولم يقضِ عن زلفاهمُ الوطرُ
بني من عاشرَ منكم سوفَ يَفْقِدُ ما ... فقدتُ مِنِّي ومن أودى به الكبرُ
ينجابُ شرخُ الصبا عنه ولذته ... أجلٌ ويبيضُ من مُسودِّه الشَّعرُ
ويرتدي بردائي حينَ يبلغُ ما ... بلغتُ إذ ينحني مثلي وينكسرُ
بني بالحفظِ أوصيكم لجاركم ... ما دامَ في الأرضِ منه العينُ والأثرُ
وقومكم فصلوهمُ إنهمُ لكم ... نعمَ الملاذِّ ونعمَ الكهفِ والوزرُ
لا تأمنُ العصمُ إلا في معاقليها ... والطيرُ يؤمنها الأعشاشُ والوكرُ
والليثُ لولا عرينُ الخيسِ يَكْنُفه ... ما كانَ لليثٍ مُرتادٌ ومُنظرُ
هاتا وصاتي فأموها وغيركم ... بني يجهلُ أني يطلعُ القمرُ
يقول: أنكم لم تجهلوا الصواب حتى أوضح لكم.

وصية جشم بن حبران

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعل بن علي، أن جشم بن حبران بن نوف بن همدان بن أوسله بن مالك بن أوسله بن ربيعة بن زيد بن كهلان لما حضرته الوفاة أقبل على ابنه حاشد وبكيل وهو يقول: " من الرجز "

يُوصيكم أباكم المرءُ جشم ... فليس ذو جهالة كمن علم
الصدق بادٍ وبه تُهدى الأمم ... معالم الرشد إذا الرشد ادلهم
إن رُمتما السودد في الناس فهم ... يسودهم من يعتليهم بالكرم
في كتب من عصره وفي أمم ... يقري إذا ما طارق الليل ألم
في ليلة حفت بأهلها الظلم ... من سنة غرباء هذان الأدم
أكثر من باسرها لما ينم ... من الطوى والقر فيها والألم
وإن دعا الداعي لمكروه عظم ... من نازل وهنا على الحي هجم
أجابته كالليث من تحت الأجم ... وافد مثل السهم يأت بهم
حتى أتى القسطل منها والتمم ... مفرج البأساء والكرب الملم
بصارم يترك أفراخ القمم ... تطير مثل الداء أو مثل الحلم
هذا أوان قيل الامن للمهم ... للعزمات ثم للرأي الشيم

وللمُجازاة وإِصالِ الرَّحِمِ ... ولِلألِدِ الخِصمِ إن لم يَحْتَكِمِ
قامَ هُمُ بِالكُلِّ من ذاكَ وزم ... أمرَ الجَمِيعِ وعن الكُلِّ حَلَمِ
ولم يَزِغْ عن قِصْدِهَا ولم يُحَمِّ ... في كُلِّ ما حاولَ من أمرٍ ورَمِ
ذَلِكُما السَّيِّدُ والعدُلُ الحَكَمُ ... ذَلِكُما الرُّكنُ الَّذي لا يَنهَدُمُ

ذَلِكُما المأمُولُ والليثُ القِطْمُ ... ذَلِكُما المَهْبوبُ في ذاتِ القَحَمِ
ذَلِكُما السَّيْفُ الَّذي لا يثَلَمُ ... ذَلِكُما الرُّمْحُ الَّذي لا يَنفِصِمُ
ذَلِكُما الرَّأسُ الَّذي اعتمَّ وتمَّ

فلما سمع حاشد وبكيل هذا الشعر من أبيهما قال حاشد لبكيل: أتجيبه قبلي أم أجيبه قبلك. وقام قائماً بين يديه وهو يقول: " من الرجز "

جُزيتَ خيراً من أبٍ ووالِدٍ ... يا واحِداً ما مِثْلُهُ من واحدٍ
مُتَوَجِّحٌ على العِمامِ ماجِدٍ ... أوَعيتَ ما قُلْتَ فغَيرُ زاهِدٍ
في حوزتِي الفِخْرُ برأيِ راشِدٍ ... شُدتَ لي السُّوددَ بالقِواعِدِ
أولادُ حَيِّ المَكْرَماتِ حاشِدٍ ... فسوفَ تَبنيهِ معَ المحامِدِ
للكرِمِ العالِيِّ وللمحامِدِ ... بِنِيانٍ من قَد سادَ كُلَّ سائِدِ
وفازَ بالسُّوددِ والفِوائِدِ ... من الوِصايا الزُّهْرُ في المِسانِدِ
حَفِظنَ عن قَرَمِ كَرِيمِ الوالِدِ ... ماضِي الجِنانِ شِيطِمِي السَّاعِدِ
إني وربُّ الرِواعِدِ ... الباسِقاتِ الشِمْخِ الرِواكِدِ
لباذلٍ برِغمِ أنْفِ الحاسِدِ ... برِّي لِلادْنينِ والأباعدِ
حَتَّى أُسَمِّيَ حيدرَ الأماجِدِ ... في كُلِّ نادٍ دمتَ والمِشاهدِ
من راتبٍ وِصادرٍ وِواردٍ ... وتلكَ نارِي شَبَّها لي واقِدِي
في شرفِ من ظَلَمَ الصَّعائِدِ ... لِلطَّارِقِ الصَّأويِ المُلِمِّ الوافِدِ
وإن دُعيتُ للعدوِّ الحاقِدِ ... ثُرتُ إليه كالحزبِ الرَّاوِدِ
بِصارِمِ ماضِي الحُسامِ حاصِدِ ... لِلهامِ والأعناقِ والسَّواعِدِ

قال: فلما سمع جشم هذا الشعر من ابنه بكيل جزاه خيراً وأوماً إليه بالجلوس فجلس. وقام أخوه حاشد بن جشم بن خبران بن نوف بن همدان، واندفَع يَنشُد وهو يقول: " من الرجز "

جُزيتَ خيراً أَيُّها البُهلولُ ... من والِدِ أشْكالُهُ قَليلُ
في عَرَبٍ وهِي لَنَا أُصُولُ ... بِها مَلَكنا وبها نِصُولُ
وأنتَ أُنْتَ قِيلُها المأمُولُ ... الماِجِدُ المُتَوَجِّحُ الجَليلُ
تَعنو لِسامِي عَقَلِكَ العَقُولُ ... وَقَوْلِكَ المُسْتَمعُ المُقبُولُ
ورأيكَ المُسْتَحْصِدُ الأَصِيلُ ... قَد قالَ ما قَد قالَهُ بِكيلُ

وحاشيدٌ يقولُ ما يقولُ ... إنِّي لها المومَلُ المسؤُولُ
عِندي لطلابِ الجدا النُهولُ ... مِن العطايا ولها التَّفصيلُ
وخيري المتظرُّ المَبذُولُ ... لكُلِّ من حانَ لَهُ التَّزولُ
بساحتي حيثُ لها التَّبجيلُ ... والرَّحْبُ والتَّسهيلُ والتَّاهيلُ
والأنسُ مِنِّي والقري المَعْمُولُ ... عِندي ولا يَغْتالُ جاري العُولُ
إنِّي لجاري حافِظٌ كَفيلُ ... وعنه ما يُثقلُه حَمُولُ
وجارتي خباؤها مَسدولُ ... طرفي عما دونها كليلُ
وسرَّحها آمنةٌ ثقيلُ ... بحيثُ لا رَبْعٌ ولا طُولُ
هذا وإن فاجأً خنْشليلُ ... بمعضلٍ ما دُونَهُ مُمِيلُ
ولا لأمْرٍ دُونَهُ سبيلُ ... ثرتُ كأني باسِلُ صَوُولُ
عَفوسٌ عَدورٌ نَحليلُ ... وفي يميني صارمٌ مَصقُولُ
يُزِيلُ ما شاءَ ولا يَزُولُ ... والتَّعْعُ كابِ والرَّدى يَجُولُ
بالمُعَلِّمينَ والكُما نَصُولُ

قال: فلما سمع جشم بن حبران بن نوف بن همدان هذا الشعر من ابنه حاشد جزاه خيراً، وأوماً إليه بالجلوس، فجلس، ثم قال لهما أبوهما جشم: أنتما همدان، وأنتما بيت الشرف من كهلان، لكما العديد الأكثر، وبكما تعز كهلان وحير، قومكما الأعزون، وأولادكما الأكثرون الباقون. ثم أنشأ يقول:

لا الأزْدُ إلا مازنٌ لا ثمَّ لا ... همدانٌ إلا حاشيدٌ وبكيلُ
ولبابُ كِنْدَةَ للأشَواوسِ في الدُّرى ... ولكلِّ قومٍ ذرَّةٌ وسليلُ
وكذاكِ حَميرٌ في عَريبٍ مُلكُها ... وبنو عَريبٍ للملوكِ أصولُ
قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إنه كان كاهناً، وإنما تكلم بهذه الأبيات فيما انتهى إليه من نحو هؤلاء الذين ذكرهم.

وصية أدد بن مالك

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن أدد بن مالك بن زيد بن كهلان وهو أبو مذحج أقبل على بنيه عند حضور الوفاة فقال: " من البسيط "

إنَّ الَّذي عَرَفَ الدُّنْيَا وجَرَّبَها ... من قَبْلِ أن تَعْرِفُوها ويحْكُمُ أَدُّ
أفنى لِياليه الألاتي سلفنَ ولم ... تُسَعِفُهُ من بَعْدِها أَيامُهُ الجُدُّ
بني إنِّي حَلِيتُ الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ ... فما عَدانِي مِنْهُ الشَّرِيُّ والشَّهْدُ
وقد صَحِبْتُ رِجالاً كُنْتُ أَمْلَهُمْ ... يُخَلِّدُوا لِي فما عاشُوا وما خَلَّدُوا
بني إن مِثْلَ أَمْسِ اليَوْمِ سَالِمَني ... فليسَ يُؤْمِنِي مِمَّا أَخافُ غَدُ

بني لا تبدؤوا قوماً بمظلمةٍ ... وفي عداوةٍ من عاداكمُ اجتهدوا
لا تحسدوا الناسَ ما أوتوا وما رزقوا ... من الثراءِ فحظَّ الحاسدِ الحسدُ
صوئوا العشيرةَ وارعوا حقَّ جارِكُمْ ... فالجارُ أقربُ من تُسدى إليه يدُ
شُبوا لطارقِكُمْ ناراً يدومُ لها ... نُورٌ به يهتدي ذا الطارقُ القصدُ
فإنَّ أكرمَ نارِ الحَيِّ ما ظهرتْ ... على الفجاجِ وباتتْ ليلها تقدُ
وصيئتُكُمْ فاحفظوا عني الوصاةَ ولا ... تبغوا سواها ففني إسماعها الرشدُ

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن مذحج بن أدد بن مالك بن زيد بن كهلان حفظ هذه
الوصية، وثبت عليها، وعمل بها، وكذلك بنوه من بعده. وإلى اليوم تتبارى مذحج حيث كانت في استعمال
ما وصَّاهم به أبوه أدد بن مالك من الإيجاب للعشيرة، وإسداء الجميل إلى الجار، والحفظ والمراعاة له،
وترك البدو بالظلم والعدوان، والاجتهاد في العداوة لمن عاداهم، والصبر على ما يتلون به من الفتنة،
والإكرام للضيف.

تقول العرب إذا رأت ناراً عظيمة: ترى ناراً كأنها لأحد مذحج. وفي ذلك يقول قائلها: " من الرمل "

تعظمُ النَّارُ إذا النَّارُ النَّيِّ ... شَبَّها عَبْسُ النَّدى أو صعصعةُ
لقدورِ كالرُّبِيِّ راسيةٍ ... وجفانٍ كالجوابي مُترعةُ
تصدُرُ العالةُ والأضيافُ في ... كُلِّ يومٍ وهي عنها مُشبعةُ
أيُّها السَّاعي على آثارنا ... نحن من لست بساعيٍّ معه
نحن أودُّ حينَ تصطكُ القنا ... والعوالي للعوالي مُشرعةُ

ويقال: إن هذا الشعر لصلاة بن عمرو المذحجي، وهو الذي يعرف بالأفوه الأودي. وتصديق قوله:

تعظمُ النَّارُ إذ النَّارُ النَّيِّ ... شَبَّها عَبْسُ النَّدى أو صعصعةُ
وقول القطامي:

ألا إنَّما نيرانُ قيسٍ إذا استوتْ ... لطارقِهِم ليلاً كَنارِ الحُبابِ

وما زالت العرب تنسب قيساً إلى مثل ما نسبها إليه قائل هذا البيت من خفوض نيرانهم وخبوها عند بدو
نيران غيرها. وقد ذكر ذلك حسان بن ثابت الأنصاري حيث يقول:

تراها كأمثالِ العقاقِ بيننا ... تألقن أو توقدن نارَ الحُبابِ

وفيما شرحناه من أخبار مذحج وأحاديثهم كفاية عما تركناه وملنا عنه إلى الاختصار.

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن طيء بن الغوث بن مالك بن أدد - ومالك اسم
مذحج - عمُّ عمراً طويلاً، زاد على نيّف وأربعمئة سنة. ويقال: إنه أقبل على بنيه وهو يقول:

عمراً وجاوزتُ المئينَ الأربعا ... وسُلبتُ أسبابَ الشَّيبةِ أجمعا

ولحقتُ أيامَ الجديسِ وحابها ... طسماً سنيناً ما حللنا لعلعا

والصَّعبُ ذو القرنينِ كُنتُ لجدِّهِ ... جدّاً وكان أبوهُ ذكري مُرضعاً

ولقيتُ لقمانَ بن عادٍ حاملاً ... بقوارعِ الأحقافِ نَسراً ميفعاً

ولقد شهدتُ من الزَّمانِ عجائباً ... ما شاءَ بَيْنَها لهُ أو يسمعا
فليأتني مُستخبراً فأنا الَّذي ... أفنتُ لِياليهِ القُرُونُ التَّبعا
أُما متى أَحصيتها وَعَدَدَتْها ... أَلفيتها أُمَّا لَعَمْرُكَ أربعا
ما إن أُسائلُ عن صديقٍ مِنْهُمُ ... إلا وَقيلُ سألْتُ عَمَّنْ ودَّعا
أبني هل تَجِدُون لي من مهيحٍ ... غير الرَدَى فأسيرَ ذاك المهيعا
لا، هل وماذا يأملُ اليقنُ الَّذي ... يُمسي وَيُصبحُ كالحنية خروعا
نعمت نيمته بياضاً بعدما ... كانت له تحكي الظلام الأفرعا
عوا ما أقولُ لَكُمْ وأوصيكمُ به ... إنَّ الوصيَّةَ يَحْتويها من وَعَى
كُونُوا لجارِكُمْ وللصيفِ الَّذي ... يُمسي بساحتكمُ جناباً مُمرِعا
وإذا أتاكمُ صالحٌ من قومكمُ ... فاسعوا إليه من معينٍ معامعا
لا تقبلوا هجماً كغزلان الشرى ... من ترد المرتعا
عزُّ العشيرةِ في جماعتها التي ... لما تجد فيها الأعدى مطمعا

وصية أود بن مالك

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن أود بن مالك كان من حكماء العرب، وكان سيداً مطاعاً في قومه، وأنه عاش دهنراً طويلاً، وعمر حتى ضعف بصره، وقصر خطاه، وكل سمعه، وأنه أقبل على بنيه يوصيهم، وهو يقول:

أودُّ بني أباكم أودى به ... صرفُ الزَّمانِ ورِيبةُ فتاودا
والدهرُ عشي ناظريه فلا يرى ... بهما الضحى إلا ظلاماً أسودا
ما إن يعي إلا إذا فرغت له ... وإذا تمثل للمحدث أصيدا
أبني من أحصى الَّذي أَحصيته ... فما طواه من سنيه وعددا
يُمسي كما أمسى وَيُصبحُ مثلما ... أصبحتُ مُنحَى الفقارِ النددا
أبني إن نقل الحِمَامُ أباكم ... عنكم وغودر في الصَّريحِ مُمددا
كُونُوا لِصيفِكُمْ ريباً صادقاً ... فالصيفُ يُخبرُ ما رآه إذا اغتدى
وإذا أتاكمُ صارخٌ من قومكمُ ... يدعوكمُ لِبلائِهِمُ مُستنجداً
فاسعوا إليه مُمرعين لئلا تُركوا ... فيهم بسعيكمُ العلى والسُوددا

وصية مراد بن سعد

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن مراد بن سعد بن مذحج وصي بنيه فقال: يا بني، إن الناس هم اثنان، صديق معين وعدو مبین، فاعرفوا للصديق صداقته، واعرفوا للعدو عداوته. أما الصديق

فأعينوه ظالماً وانصروه مظلوماً، وأما العدو فاخذلوه محالفاً، واقلبوه مخالفاً، ولا تأمنوه سلماً، ولا تتركوه حرباً. ثم أنشأ يقول: " من الوافر "

بنيّ لقد دعوتكم لنهج ... يدلُّ على البصيرة والرّشادِ
بنيّ وهل أبّ يدعو بنيه ... إلى غير المكارم والسدادِ
وهل ولدُ رأى من والديه ... له غير الحبة والودادِ
بنيّ تأمّموا فالناسُ شتى ... ذوو مقهٍ وحسادِ أعادِ
فكافوا الكلّ ما يسدى ويولى ... مكافأة الشرايحة الجيادِ
وأوفوا كيلهم بالصّاع صاعاً ... ولا تُبقوا على حضرٍ وبادِ
من الأعداءِ فالإبقا عليهم ... يزيدهم التّمادي في الفسادِ
بنيّ هي الوصيّة فاحفظوها ... فذي من إرث والدكم مُرادِ

وصية الحارث بن كعب

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن الحارث بن كعب لما حضرته الوفاة أقبل على بنيه يوصيهم وهو يقول:

بنيّ اهدوا إني اهتديت سبيله ... فأكرم هذا الناس من كان هاديا
عيبتُ زماناً لست أعلم ما الهدى ... وقد كان ذاكم ضلالة من ضالّيا
فلما أراد الله رُشدي وزُلفتي ... أنار سبيل الحق لي وهدايا
فألقيت عني العي للرشد والهدى ... ويمت نوراً للحنيفة باديا
وصرت إلى عيسى بن مريم هادياً ... رشيداً فسماني المسيح حواريا
سعدت به دهرًا فلما فقدته ... فقدت يميني بل فقدت شماليا
بنيّ اتقوا الله الذي هو ربكم ... براكم له فيما برى وبرانيا
لنعبده سبحانه دون غيره ... ونستدفع البلوى به والدواهايا
ونؤمن بالإنجيل والصّحف التي ... بما يهتدي من كان للوحي تاليا
بنيّ صحبت الناس ثم خبرتهم ... وأفضلهم ألفت من كان واعيا
وألفت أسنانهم محلاً ومنصباً ... رشيداً عن الفحشاء والإفك ناهايا
وألفت أوهاهم لدى كل أمره ... مُضلاً لضلال العشيّة غاويا
بنيّ احفظوا للجار واجب حقه ... ولا تُسلموا في التّائبات المواليا
وشبّوا على قرع اليفاعة ناركم ... ليأتمها الصّيف الذي بات طاويا
ولا تعتدوا بالحرب من لم يكن لكم ... من الناس بالعدوان والظلم باديا
ومهما زرعتُم يا بنيّ فإنّه ... سيحصد نزرًا كان أو كان زاكيا

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إن ولد الحارث بن كعب لم يزل يحفظ وصيته ويعمل بها في الجاهلية والإسلام.

ويقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبني الحارث يوم وفدوا إليه للإسلام والدخول في الملة: يا بني الحارث، بما كنتم تغلبون الناس يا أكثر العرب عدداً ولا عدداً؟ قالوا له: يا رسول الله، نحن قوم لا نبدأ أحداً بمظلمة، فإذا أراد قوم ظلامتنا أو حربنا قلدناهم البغي، وصبرنا على حربهم حتى يحكم الله بما هو حاكم. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: بتلك كنتم تغلبون الناس وتقهروهم.

وهم الذين يقول فيهم الزبير بن عبد المطلب حيث يقول:

ولقد صحبتُ النَّاسَ ثُمَّ خَبِرْتُهُمْ ... فوجدتُ أكرمَهُمُ بنيَ الديانِ

قومٌ إذا نزلَ الغريبُ بدارِهِمْ ... تركُوهُ أهلَ صواهِلِ وقيانِ

لا يَنكُثُونَ الأرضَ عِندَ سؤَالِهِمْ ... لِتَلْمُسِ العِلَّاتِ بالعِيدانِ

بل يَسْطُونَ وُجُوهُهُمْ فَتَرى لها ... عِندَ السُّؤالِ كأحسنِ الألوانِ

وإذا دعوتُهُمْ ليومِ كَريهةٍ ... سَدُّوا شُعاعَ الشَّمسِ بالثَّيرانِ

تم كتاب الوصايا. والحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيد المرسلين محمد النبي وآله الطيبين صلى الله عليه وعليهم أجمعين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وافق كاتبه الفراغ عنه يوم الخميس بقيت من شهر جمادى الأولى من شهور سنة وأربعين وخمسمئة. وفقه الله لما يرضيه، وجنبه معاصيه، وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين أجمعين. ولما قال آمين برحمته. والحمد لله حق حمده.